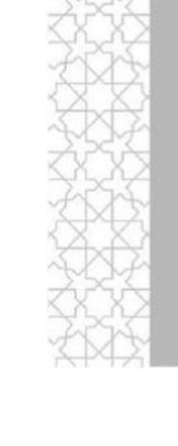
أنواع الحزن، وأحكامه
"دراسة عقدية"

د. شريفة بنت مصلح السنيدي
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



أنواع الحزن، وأحكامه"دراسة عقدية"

د. شريفة بنت مصلح السنيدي
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٠/ ٢/ ١٤٤١ هـ   تاريخ قبول البحث: ٢٩/ ٣/ ١٤٤١ هـ

ملخص الدراسة:

يدور معنى الحزن في اللغة حول الصعوبة والخشونة، لذا سمي حزنا لما يتضمنه من ألم النفس، وتوجعها، والتأسف إما على أمر ماضٍ أو على أمر مستقبل لم يتمكن المرء من تحقيقه، وهناك بعض المصطلحات المقارِبة للحزن مثل: الهم والغم والأسف والكآبة ، وهي تتضمن معنى زائدا على الحزن.

وتعبد الله بالحزن الطويل الدائم بدعة، وكذا استجلاب الحزن بمجالس السماع البدعية، وكل ذلك من مخالفة السنة.

ومن الابتداع في الدين أيضا اتخاذ بعض الأزمان مآتم يظهر فيه الحزن كما تفعل الرافضة في يوم عاشوراء، وكذا استبدال شعيرة الفرح في يوم العيد بإظهار الحزن.

والحزن ينقسم قسمين: قسم يتعلق بأمور الدنيا كحزن الإنسان على موت شخص عزيز أو فوات مصلحة له، وقسم يتعلق بأمور الآخرة كحزن المسلم على اقترافه الذنوب والتقصير في الطاعات.

ومن خلال استقراء الآيات والأحاديث نجد أن الحزن بقسميه: انفعال غير محمود، وإذا حزن المسلم على معصيته أو تقصيره في الطاعة، فإنما يُحمد ما يدل عليه الحزن من إيمان القلب .

وكان من هدي النبي ﷺ معالجة الأحزان والتقليل من آثارها على حياة الإنسان وذلك بالدعاء والذكر والعبادة، والإذن بما تقتضيه الفطر من ظهور بعض آثار الحزن، كالبكاء دون ندب ولا نياحة، وكذلك تناول بعض الأطعمة كالتلبينة التي تسهم في التخفيف من الحزن.

والحمد لله رب العالمين

الكلمات المفتاحية: الحزن- التعبد بالحزن- البكاء- الحزن على الدنيا.

Types of Sorrow, and its Ruling (A Theological Study)

Dr. Sharifah Bint Muslih As-Sunaidi
Department of Aqeedah and Modern Schools of Thought - College of Religious Foundations
Imam Muhammad Bin Saud Islamic University

Abstract :
'Sorrow' linguistically includes difficulty, because of the pain**;** it causes within the self over a past or future unachievable matter. There are similar words to the term 'sorrow' such as grief and regret, but they mean more than just 'sorrow'.

Worshipping Allah through long continuous sorrow is an innovation, and so is seeking sorrow in study circles, all of this is against the Sunnah. Other practices considered religious innovations include specifying certain times to be sad like the *Shia* on *Aashuraa*, and also replacing happiness on the day of Eid with sadness.

Sorrow can be divided into two: one relates to worldly matters like sadness over the death of a beloved or a missed chance, and the other concerns matters of the Hereafter, like sadness over sins or falling short in good deeds.

Through reading the Islamic texts, we find that both 'sorrows' are unpraiseworthy. Sadness over sin or less good deeds is, however, praiseworthy as it indicates the heart's belief.

The Prophet – peace be upon him- treated sadness through duaa, remembering Allah, and increasing worship. He also allows the natural disposition to express sorrow, like crying without wailing, and eating certain foods like *talbeenah* that lessens sorrow.

key words: Sorrow – worship thro ugh sorrow – crying – sorrow of this life

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن من أهم ما يجب العناية به لتحقيق العبودية لله رب العالمين "أعمال القلوب" وما يلحق بها من الأحوال؛ إذ القلب محل نظر الرب تبارك وتعالى، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ» وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ[(١)].

ومن أهم تلك الأحوال ما يطرأ على النفس من الهموم والأحزان، ولا شك أن الهم والغم والضيق والقلق والخوف والحزن كلها أمراض وعوارض تفقد الإنسان الشعور بالسعادة والطمأنينة والأمن، وتؤدي إلى الإحباط واليأس الذي يحول دون السعي في الحياة وتحقيق العبودية لرب العالمين، وعامة من ضل في هذا الباب كان ضلاله بغية جلاء هذه الأحزان، أواستجلابها بغير سبيل الإسلام.

والإسلام دين الفطرة، وقد فطر الله جل جلاله النفس البشرية على هذه الأحوال والغرائز، وهذبها بالشرائع لتتظافر بمجموعها بما يحقق العبودية التي أمر

---

(١) رواه مسلم في صحيحه،كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم (١٩٨٦،٤).

الله تعالى بها، فلا يفرح فرح بطر، ولا يحزن حزن يأس؛ بل يضبط أحواله بميزان الشرع، وبالحكم العدل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لذا كان من الأهمية بمكان دراسة هذه الأحوال، وما يتعلق بها من ثواب أو عقاب، وما هو مذموم منها وما هو محمود. وسأتناول في هذا البحث – بإذن الله تعالى– الموسوم ب(**أنواع الحزن، وأحكامه. دراسة عقدية**) ما يعرض للقلب من الحزن، وأحكامه العقدية، وضوابطه.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١/ ارتباط الحزن بعقيدة الولاء والبراء التي هي أوثق عرى الإيمان؛ كالحزن على مصائب المسلمين، والحزن على مصائب الكفار.

٢/ تعلق الحزن ببعض العبادات القلبية؛ كالصبر، والرضا، وحسن الظن بالله، وكذا تعلقه ببعض المعاصي القلبية، كالقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والاعتراض على أقدار الله.

٣/ ظهور البدع المتعلقة بالحزن؛ كجعل الحزن من منازل السائرين، أو التعبد به لله رب العالمين، مما جعل من المهم تبيين مقام الحزن من الناحية الشرعية والتعبدية.

٤/ ضرر الحزن وإفساده للقلوب إن تمكن منها، والقلب هو المحرك للجوارح، وهو محل نظر الرب جل جلاله.

٥/ كون الأحوال القلبية تتداخل وتتشابك، فهي أمور باطنة، يصعب التفريق بينها؛ مما يجعل اللبس واردا فيها، فيلتبس أمر الحزن الذي هو حال عارض باليأس من روح الله، وسوء الظن برب العالمين الذي هو من أكبر

الكبائر، ويلتبس أمر الرحمة التي هي من بواعث الحزن المشروعة، بالجزع المنهي عنه، لذا أردت تمييز هذه الفروق ببيان أنواع الحزن، وأحكامه، وضوابطه.

خطة البحث:

حوى البحث: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وهدف البحث، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: ويشمل:

أولًا: تعريف الحزن وبعض مرادفاته اللغوية.

ثانيًا: موقف الإسلام من الحزن.

المبحث الأول: التعبد لله بالحزن، وأحكامه، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعبد الله بالحزن الطويل الدائم.

المطلب الثاني: إظهار التخشع والتماوت.

المطلب الثالث: استجلاب الحزن والوجد بمجالس السماع.

المطلب الرابع: إظهار الحزن في يوم عاشوراء.

المطلب الخامس: إظهار الحزن على وداع رمضان.

المبحث الثاني: الحزن على الأقدار المتعلقة بالأمر الشرعي، وأحكامه، وفيه مطالبان:

المطلب الأول: الحزن على فوات الطاعة، وأحكامه.

المطلب الثاني: الحزن على فعل المعصية، وأحكامه.

المبحث الثالث: الحزن على الأقدار المتعلقة بالأمر الكوني، وأحكامه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحزن على الأقدار المتعلقة بالنفس، وأحكامه.

المطلب الثاني: الحزن على الأقدار المتعلقة بالغير، وأحكامه.

الخاتمة.

الفهارس.

هدف البحث: تأصيل موقف الإسلام من الحزن، وبيان أنواع الحزن التي تعرض للمسلم، وأحكامها، وضوابطها.

منهج البحث:

اتبعت المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية، والمنهج التحليلي في العرض والبيان، متبعة في ذلك الآتي:

١- جمعت الآيات، وجُل الأحاديث الواردة في الحزن، واستخلصت المادة العلمية، وعلى ضوئها كانت خطة البحث، وترتيبه.

٢- أجملت في العرض بحسب تقسيم الخطة بما يتناسب مع طبيعة الأبحاث المختصرة.

٣- خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها، واكتفيت بأحد الصحيحين إن وجد الحديث فيهما، وإلا خرجته من كتب السنن، أو المسانيد، أو المصنفات، وذكرت حكم العلماء عليه -إن وجدت-.

٤- أما ما يتعلق بالآثار فلم أستدل إلا بما استدل به السلف، وأدرجوه في مصنفاتهم.

٥- عند التوثيق في الهوامش اكتفيت بذكر المرجع مختصرا، ورقم الصفحة. وأثبت بيانات النشر الكاملة في قائمة المراجع.

٦- عند النقل المباشر من المصدر أضع علامتي تنصيص، وإذا اختصرت أضع نقاطا محل الاختصار، أما إذا تصرفت بتقديم أو تأخير أو اختصار طويل، صدرت الإحالة بكلمة: انظر.

٧- أتبعت كل علم ذكرته في المتن بسنة وفاته.

أسأل الله التوفيق والسداد.

* * *

تمهيد

أولًا: تعريف الحزن وبعض مرادفاته اللغوية:

الحزن لغة: "الحاء، والزاء، والنون" أصل واحد، وهو: خشونة الشيء وشدة فيه. ومن ذلك الحَزْن، وهو ما غلظ من الأرض[1]. ومنه ما رواه أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "اللَّهُمَّ لا سَهْلَ إلاَّ ما جَعَلْتَهُ سَهْلاً وأنْتَ تَجْعَلُ الحَزْنَ إذَا شِئْتَ سَهْلاً"[2].

ويقال للحُزْن: حَزَنْ. لغتان؛ كالرُّشْد، والرَّشَد[3]. قال أبو عمرو بن العلاء البصري (١٥٤هـ): إذا جاء الحزن منصوبًا فتحوه، وإذا جاء مرفوعًا أو مكسورًا ضموا الحاء؛ كقول الله جل جلاله: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:٨٤]، وفلان يقرأ (بِالتَّحْزِينِ) إذا أرق صوته به[4].

الحزن اصطلاحاً: الحُزْن والحَزَن: نقيض الفرح، وهو خلاف السرور[5].

وقال الجرجاني (٤٧١هـ): "عبارة عما يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي"[6].

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/٥٤).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٣/٢٥٥)، والبيهقي في "الدعوات الكبير" (٢٦٦)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم (٢٨٨٦).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١٣/١١٤).

(٤) مختار الصحاح،للرازي (١/٧٢).

(٥) انظر: لسان العرب (١٣/١١١)، مختار الصحاح (١/٧٢).

(٦) التعريفات، للجرجاني (١/٨٦).

وقال المناويّ (١٠٣١هـ): "الحزن (بالضّمّ) هو الغمّ الحاصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب، ويضادّه الفرح"[(١)].

وقال الكفويّ (١٠٩٤هـ): "الحزن: غمّ يلحق من فوات نافع أو حصول ضارّ، وقال بعضهم: الخوف علّة المتوقّع، والحزن علّة الواقع"[(٢)].

وللحزن بعض المرادفات اللغوية، منها: الأَسَى: وهو: حزن على الشيء يفوت[(٣)]، **والإبلاس:** وهو: حزن مع قنوط، وقطع للرجاء من رحمة الله تعالى[(٤)]، قال النحاس(٣٣٨هـ): "المبلس المتحير الذي قد يئس من الخير"[(٥)]، وقال الفراء(٢٠٧هـ): "المبلس: القانط اليائس من النجاة"[(٦)].

وكذلك **الهم:** قال في "الصحاح": "الهَمُّ: الحُزنُ والجمع الهُمومُ"[(٧)]. وقيل: الهم: حزن مع قلق، قال ابن الجوزي (٥٩٧هـ): "الْهم لما يتَوَقَّع، والحزن لما قد وَقع"[(٨)]، وقال ابن القيم (٧٥١هـ): "فإن المكروه الوارد على القلب إن

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي (ص: ١٣٩).

(٢) الكليات، للكفوي (ص:٤٢٨).

(٣) فقه اللغة، للثعالبي (١٣١،١).

(٤) لسان العرب (٣٢،٦).

(٥) معاني القرآن للنحاس (٣٨٤،٦).

(٦) معاني القرآن للفراء (٣٧،٣).

(٧) الصحاح (٢٠٦١/٥).

(٨) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢١٥/٣).

كان من أمر مستقبل يتوقعه أحدث الهم، وإن كان من أمر ماض قد وقع أحدث الحزن"[1].

أما الغم: فقيل: هو ما لا يقدر الانسان على إزالته كموت المحبوب[2].

وإذا كان مع الحزن غضب سُمي: **أسف**[3]، وقيل: الأَسَفُ: أشدُّ الحزن[4]، و**الحسرة**:هي الحزن المصحوب بالندم على أمر فائت، قال الشربيني(٩٧٧هـ): "وهي: شدة الحزن على ما فات من الأمر"[5].

ومما تقدم يتبين أن الحزن شعور بالألم، ولكن قد يصحبه شعور آخر يجعله حزنا مخصوصا؛ والمقصود في هذا البحث ليس الحزن الطبعي الذي جبل عليه الإنسان عند حصول عارض يحزنه، فهذا لا فكاك منه، وإنما المقصود هو ما ذكره الأطباء، وعرفوه من: ملازمة الأسف واستمرار الألم، ومن أوائل من عرفه الفيلسوف الكِندي(٢٥٦هـ) في رسالته "في الحيلة لدفع الأحزان" بأنه: "ألم نفساني يعرض لفقد المحبوبات وفوت المطلوبات"[6]. وتابعه عليه ابن مسكويه (٤٢١هـ)[7].

---

(١) الجواب الكافي (٧٣/١).

(٢) معجم الفروق اللغوية، للعسكري (٥٦٠،١).

(٣) الصحاح، للجوهري (١٣٣٠/٤).

(٤) مقاييس اللغة (١٠٣/١).

(٥) السراج المنير، للسيوطي (٣١٤/٣).

(٦) رسائل فلسفية للكندي والفارابي (ص:٦).

(٧) انظر: تهذيب الأخلاق، لابن مسكويه (ص:١٨١).

وعرفه ابن القيم (٧٥١هـ) بأنه: "انخلاع القلب عن السرور، وملازمة الكآبة، لتأسف عن فائت، أو توجع لممتنع"[(١)].

فتبين من هذه التعريفات أن الحزن إحساس مؤلم فهو "ألم نفساني" وهو ما عبر عنه بـ" توجع " و"تأسف" و"كآبة " تصيب النفس الإنسانية، لفقد محبوب كشخص مقرب، أو شيء عزيز على النفس، أو بفوت مطلوب: أي عدم قدرة الإنسان على تحقيق ما يطمح إليه، ثم بينت أنه: ملازمة الكآبة، وهذا هو المقصود، فليس هو الحزن العارض.

ثانيًا: موقف الإسلام من الحزن:

الحزن حالة ضعف وانكسار ورقة تصيب النفس البشرية لما يعرض لها من الأسباب والأقدار الكونية أو المخالفات الشرعية، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه لا يؤاخذ على أمر جبلي فطر عليه الإنسان، إلا أن الحزن وإن كان أمرًا فطريًا فإنه ليس مطلوبًا ولا مأموراً به في الشرع، بل جاءت النصوص الكثيرة في النهي عنه، قال ابن تيمية (٧٢٨هـ): "وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نُهي عنه في مواضع وإن تعلق بأمر الدين؛ وذلك أنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة، ولا فائدة فيه، ومالا فائدة فيه لا يأمر الله به"[(٢)].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص:٤٩٨).

(٢) التحفة العراقية (ص:٤٢).

وقد ذُكر الحزن في القرآن في اثنتين وأربعين موضعا، جميعها على سبيل الذم، والنهي، وبيان أن الله عاقب به أعداءه[1]. و جمع بينه وبين والخوف في اثنتي عشرة آية[2].

وجاء النهي في الشرع عن الحزن بأساليب مختلفة، منها:

أولا- **الأمر بالاستعاذة من الحزن قبل وقوعه:** عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ، قال لأبي طلحة: «التمس غلاما من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر» فخرج بي أبو طلحة مُردفي، وأنا غلام راهقت الحلم، فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل، فكنت أسمعه كثيرا يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[3]. فالهم والحزن قرينان وهما من آلام الروح ومعذباتها[4].

ثانيا- النهي المباشر عن الحزن بعد انعقاد أسبابه: حيث تظافرت الآيات في النهي عن الحزن مهما كانت أسبابه سواء الشرعية أم الكونية، ومن ذلك نهي النبي ﷺ عن الحزن بقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾[النحل:١٢٧]، "أي: ولا تحزن

(١) معجم ألفاظ القرآن (ص: ٢٨٣، ٨٤٤).

(٢) الدلالات النفسية واللغوية لمفهومي الخوف والحزن في القرآن الكريم (ص:٢١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب التعوذ من غلبة الرجال (٧٨/٨).

(٤) انظر: الفوائد، لابن القيم (ص:٢٠٧).

على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به في أن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة"[(١)].

وقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[المائدة:٢٦]، قال ابن عباس: "يريد: لا تحزن على القوم الذين عصوك وعصوني"[(٢)] وَذَلَّلْنَاهَا

وكقوله تعالى مواساةً للمؤمنين على ما أصابهم في أحد:﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٩]، قال ابن جرير(٣١٠هـ): "وهذا من الله -تعالى ذكره- تعزية لأصحاب رسول الله ﷺ على ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد"[(٣)].

ثالثا- الإرشاد إلى دفع الهم والحزن بعد وقوعه بالأسباب الشرعية والكونية، حتى لا يستوطن قلب المؤمن فيضعفه ويصرفه عن غايته، ومن ذلك؛ ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ

(١) تفسير الطبري (٣٢٥/١٧).

(٢) تفسير الواحدي (١٧٥/٢).

(٣) المرجع السابق (٢٣٤/٧).

اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: " أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ "[(١)].

ومن الأسباب الكونية ما دل النبي صلى الله عليه وسلم أمته عليه مما يخفف لوعة الحزن، ويعين على ذهاب بعضه، فعن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساء، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها، ثم قالت: كلن منها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ المرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ»[(٢)].

فهذا الإرشاد النبوي يدل على أن الحزن حال غير محمودة يستحب دفعها، سواءً بالقول؛ كالتعوذ من الحزن والاسترجاع، أم بما هو مباح من طعام ونحوه.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٤٧/٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٠/٣)، والحاكم في المستدرك (٦٩٠/١). وقال العراقي في "تخريج أحاديث الإحياء" (٨٣٣/٢): "أخرجه أحمد، وابن حبان، والحاكم، من حديث ابن مسعود، وقال: صحيح على شرط مسلم. إن سلم عن إرسال عبد الرحمن عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه". وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٣٣٧/١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأطعمة، باب التلبينة (٧٥/٧)، ومسلم، كتاب: الطب والمرضى والرقى، باب: التلبينة مجمة لفؤاد المريض (١٧٣٦/٤) رقم(٢٢١٦).

رابعا- لما كانت المصائب ونقص الأموال والأنفس والثمرات مظنة الحزن، ومن أعظم أسبابه، شُرِع الاسترجاع عند المصيبة، وجعل الصبر والرضا من أكثر الأعمال أجرًا وفضلًا ما يدل على أن مقام الحزن ليس مقامًا مندوبًا إليه، ولا مطلوب شرعًا. فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: "إنا لله وإنا إليه راجعون"، "اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها". إلا أخلف الله له خيرا منها"، قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ. . . "[١]. وقال سعيد بن جبير(٩٥هـ): "ما أُعطي أحد في المصيبة ما أُعطي هذه الأمة، يعني: الاسترجاع، ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام، ألا تسمع إلى قوله تعالى في قصة يوسف ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[يوسف: ٨٤]"[٢].

خامسا- جعل الله الحزن عقوبة لأعدائه؛ فكما أنه جل جلاله نهى أوليائه عن الحزن ليصون قلوبهم مما يضعفها ويدخل عليها الهم فقد، فقد جعل الحزن عقوبة لأعدائه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة (٢/ ٦٣١) رقم (٩١٨).

(٢) تفسير البغوي (١/ ١٧٧).

﴿وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾[آل عمران:١٥٦]، عن مجاهد(١٠٤هـ) قال: "يحزنهم قولهم، ولا ينفعهم شيئًا"[(١)].

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[طه:١٢٤]، عن ابن عباس، قال: "الشقاء"[(٢)]. وقال ابن كثير(٧٧٤هـ): " أي: في الدنيا. فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله"[(٣)]. وقال ابن القيّم (٧٥١هـ): "من أعظم أسباب ضيق الصدر: الإعراض عن الله تعالى، وتعلّق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبّة سواه، فإنّ من أحبّ شيئا غير الله عُذّب به، وسجن قلبه في محبّة ذلك الغير، فما في الأرض أشقى منه. ولا أكسف بالًا، ولا أنكد عيشًا، ولا أتعب قلبًا. ومحبّة غير الله سبحانه هي عذاب الروح، وغمّ النفس، وسجن القلب، وضيق الصدر، وهي سبب الألم والنكد والعناء"[(٤)].

سادسا– بين الحق سبحانه وتعالى أن **إحزان المؤمن من مقاصد الشيطان** ومكائده، فلا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة:١٠].

فمما سبق يتبين أن الحزن مرض من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره، ويوهن العزم، ويضر الإرادة، والثواب عليه ثواب المصائب التي يبتلى

---

(١) فتح القدير (١/٤٥٣).

(٢) تفسير الطبري (١٨/٣٩٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/٣٢٢).

(٤) زاد المعاد (٢/٢٤).

العبد بها بغير اختياره، كالمرض والألم ونحوهما، وأما أن يكون عبادة مأموراً بتحصيلها وطلبها فلا[1]. قال شيخ الإسلام: "وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه، فيكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن"[2].

ولذلك كان من نعيم المؤمنين في الجنة زوال الحزن عنهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]، وإن كان بعض المفسرين فسر الحزن هنا بنوع معين، كما قال ابن عباس: "الخوف من النار"، وعن قتادة(١١٨هـ): "حزن الموت"، وقال مجاهد(١٠٤هـ): "هم الخبز"[3]، إلا أنه لم يخصص إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعا دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنوع الحزن بقولهم ذلك؛ لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن[4].

المبحث الأول: التعبد لله بالحزن، وأحكامه:

تقدم أن الحزن مرض أو عرض يعرض للنفس، ليس مطلوبًا ولا ممدوحًا لذاته شرعًا؛ إلا أنه قد أدخل بعض أهل البدع الحزن في الدين، واتخذوه عبادة وخصصوا له أزمانًا، وتكلفوا إظهاره على هيئاتهم ظنًا منهم أنه حال محمودة،

---

(١) انظر: طريق الهجرتين (٢٨٠/١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/١٠).

(٣) تفسير السمعاني (٣٦٠/٤) ، وانظر: تفسير البغوي (٦٦٩/٣)، وتفسير ابن كثير (١٢٢/٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤٧٣/٢٠).

واغتر بذلك بعض النساك، وكل ذلك بدعة وضلالة ليس لها أصل ولا نص صحيح يستند عليه. ويتبين ذلك بالمطالب الأتية:

المطلب الأول: تعبد الله بالحزن الطويل الدائم:

وقد عدّ بعض المتصوفة، وغيرهم من الجهلة الحزن الدائم، وعدم التبسم من علامات الخشية والتقوى، وعده الهروي(٤٨١هـ) من منازل السائرين[١]، ويستدلون بآثار مروية منها:

[١] ما رواه ابن أبي حاتم(٣٢٧هـ) في صفة النبي ﷺ: " أنه كان كثير الصمت، دائم الفكر، متواصل الأحزان"[٢]، وقد رد العلماء هذه الرواية سندًا[٣]، ومتنًا، قال ابن القيم (٧٥١هـ): "وكيف يكون متواصل الأحزان وقد صانه الله عن الحزن على الدنيا وأسبابها، ونهاه عن الحزن على الكفار، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فمن أين يأتيه الحزن؟"[٤].

وفي توجيه للمتن يقول ابن تيمية (٧٢٨هـ): " وأما الحزن؛ فليس المراد به الحزن الذي هو الألم على فوت مطلوب، أو حصول مكروه، فإن ذلك منهي عنه ولم يكن من حاله، وإنما أراد به الاهتمام والتيقظ لما يستقبله من الأمور، وهذا مشترك بين القلب والعين"[٥].

---

(١) منازل السائرين، للهروي(ص:٢٥)، وانظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/٥٠٠).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/١٥٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٢٤)، وابن أبي الدنيا في الهم والحزن (ص: ٢٧).

(٣) وممن ضعفه: ابن القيم في المدارج (١،٥٠٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨،٢٧٦)، والألباني في مختصر الشمائل (ص:٢٠).

(٤) مدارج السالكين (١/٥٠٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١٦،٢٢١).

[٢] ويستدلون أيضا بما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب كل قلب حزين»[١]، رواه أبوبكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب، عن أبي الدرداء، وقال البزار(٢٩٢هـ): "وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد"[٢]. وأبو بكر ضعيف، ضعفه ابن عدي(٣٦٥هـ)[٣]، وقال الذهبي(٧٤٨هـ)عن إسناد الحديث: منقطع[٤]. وقال ابن القيم (٧٥١هـ): "فلا يعرف إسناده، ولا من رواه، ولا تعلم صحته"[٥].

وعلى تقدير صحته؛ فالحزن مصيبة من المصائب التي يبتلي الله بها عبده، فإذا ابتلى به العبد فصبر عليه، أحب صبره على بلائه[٦]. وقال المناوي (١٠٣١هـ): "قلب حزين، أي: لين كثير العطف والرحمة، أي: منكسر من خشية الله تعالى، ومهتم بأمر دينه، خائف من تقصيره"[٧].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣٥١/٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٧١/٢)، وابن أبي الدنيا في الهم والحزن (ص: ٢٨).

(٢) البحر الزخار (٨٣/١٠)، قال الألباني: "ورده الذهبي بقوله: "قلت: مع ضعف أبي بكر، منقطع"، يعني: بالانقطاع ما بين ضمرة وأبي الدرداء، فإن بين وفاتيهما نحو مئة سنة". سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٦٩٥/١)، وانظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته (١،٢٤٨).

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال (٢١٠/٢).

(٤) مختصر استدراك الحافظ الذّهبي على مستدرك الحاكم، لابن الملقن (٢٩٩٦/٦).

(٥) مدارج السالكين (٥٠٢/١).

(٦) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٧) فيض القدير(٢٩٥/٢).

ومثله ما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، . . . وبحزنه إذا الناس يفرحون، . . . وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حليمًا سكينًا"[١].

وروي عن إبراهيم التيمي(٩٢هـ), أنه قال: "من كان آمنًا ولا يكون محزونًا خائفًا، يُخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأن أهل الجنة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾[الطور:٢٦]" وعن ابن الأوزاعي، قال: "سئل أبي عن الخشوع؟ فقال: "الحزن". وعن أبي سعيد البصري(١٩٨هـ) قال: "المحزون خائف، ومن خاف اتقى، ومن اتقى حذر، ومن حذر حاسب نفسه"[٢].

فالحزن هنا ليس المقصود به الهم في الدنيا، والانطواء، والتشاؤم، وملازمة الكآبة، فهذا ليس بحزن محمود كما سبق، وهو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يقصده من أثنى على الحزن من السلف، وإنما أرادوا: الخشوع، والخوف من الله سبحانه، والتقوى.

وثمة ملحظ آخر أيضا ينبغي مراعاته عند قراءة هذه الآثار، وهو: طبيعة نفس الذي صدر عنه ذلك الكلام، فإذا كانت نفسه جبلت على الحزن والتباعد عن الفرح، فمثله لا يستدل بحاله ولا مقاله على التأصيل الشرعي، فالحسن البصري (١١٠هـ) مثلا، قيل عنه: "كان رجلا محزونا"[٣]، فلا تؤخذ

---

(١) الزهد، لأحمد بن حنبل (ص: ١٣٣).

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين (ص: ٥٦٢).

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد(١٩٩/٧).

أقواله في التحزين على أنها تأسيس شرعي لمقام الحزن في السلوك إلى الله سبحانه، بل تؤخذ على أنها تعبير عما يجده في قلبه ونفسه، وما يجده لا ينبغي أن يعمم ويستدل به على أن هذا هو حال السلف بإطلاق[(١)].

وبهذا يتبين أن من تعبد الله بدوام الحزن فقد خالف هدي المصطفى فإنه صلى الله عليه وسلم وهو أتقى الخلق وأخشاهم لله، كان يضحك ويتبسم, وقد روى عن عبد الله بن الحارث أنه قال:" ما رأيت أحدا أكثر تبسمًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[(٢)].

بل كان صلى الله عليه وسلم دائم البشر، ضحوك السن، كما في صفته: "الضحوك القتال"[(٣)]، ولا يليق بمن عرف الله أن يغلب على حاله الحزن وأن يكون سمةً له. بل إن أولياء الله تنشرح صدورهم بمعرفته، ويملأ قلوبهم الرضا

(١) انظر: دراسات في التصوف، لإحسان ظهير (ص: ٥٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٩/٢٤٥)، والترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب: في بشاشة النبي صلى الله عليه وسلم (٥/٦٠١)، وصححه الألباني. انظر : مختصر الشمائل (١٢٠)، وتخريج مشكاة المصابيح (٣،١٣٤٢).

(٣) قال السيوطي: "وَأخرج ابْن فَارس عَن ابْن عَبَّاس أن النَّبِي ﷺ قَالَ : " اسمي فِي التَّوْرَاة: أَحْمد الضحوك الْقِتَال، يركب الْبَعِير، ويلبس الشملة، ويجتزي بالكسرة، سَيْفه على عَاتِقه". الخصائص الكبرى (١/١٣٣)، و ذكره ابن كثير في "الفصول في سيرة الرسول"(ص:٢٦٥)، وقال ابن القيم في "زاد المعاد" (١/٩٣): "وأما الضحوك القتال، فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر، فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين غير عابس ولا مقطب ولا غضوب ولا فظ، قتال لأعداء الله لا تأخذه فيهم لومة لائم".

بقضائه، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم و الحزن في الشك والسخط"[(١)].

وقد نهى النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه عن الحزن مع أن حزنه كان لخوفه على رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] قال ابن تيمية (٧٢٨هـ): "وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن"[(٢)].

وكان هذا دأب الصالحين، والعلماء الربانيين، قال ابن القيم (٧٥١هـ) فيما يحكيه عن شيخه ابن تيمية(٧٢٨هـ) -رحمهما الله-: "وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة"[(٣)].

---

(١)رواه هناد السري في الزهد (١/ ٣٠٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٢٢١)، وانظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص:٥٨٠).

(٢) منهاج السنة (٨،٤٦٦)، وانظر: طريق الهجرتين (١/٢٨٠).

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (١،٤٨).

المطلب الثاني: إظهار التخشع والتماوت:

وهذا ظنا من بعض الجهال أنه من التعبد لله والتنسك له، ولم يكن التماوت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا من أفعال السلف. ففي أحاديث صفة النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله أنه "كان إذا مشى صلى الله عليه وسلم كأنما يمشي في صبب"[١]، والمعنى: يمشي مشيًا قويًا سريعًا[٢].

وقد بدأت هذه البدعة في آواخر عهد الصحابة فأنكروا على من يفعله، ومن ذلك قول عبيدالله بن عبدالله(٩٨هـ): "لم يكن البِر يُعرف في عمر ولا ابنه حتى يقولا أو يفعلا"[٣]. أي: لم يكن يظهر عليهما تخشع المرائين.

ورأت الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها فتيانًا يقصدون في المشي، ويتعلمون رويدًا، فقالت: وما هذا؟ فقالوا: نساك. فقالت: "كان والله عمر رضي الله عنه إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو الناسك حقًا"[٤].

وفي كتاب "مناقب الامام احمد" عن محمد إبراهيم البوشنجي (٢٩١هـ) قال: "ما رأيت أحدا في عصر أحمد أجمع منه ديانة وصيانة وأبعد من

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٤٤،٢)، والترمذي في السنن، أبواب المناقب (٥٩٩،٥)، وقال: حسن صحيح. وقال الألباني : "صحيح لغيره"، انظر: التعليقات الحسان (١١٦،٩).

(٢) مرقاة المفاتيح (٣٧٠٤،٩).

(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٣٧/١)، وانظر: حقيقة السنة والبدعة (ص:١٥١).

(٤) تاريخ دمشق (٢٨٨/٤٤)، وانظر: حقيقة السنة والبدعة (١٥١).

التماوت"[1]، وروى ابن أبي حاتم الرازي(٣٢٧هـ) عن أبيه: "كان أحمد ابن حنبل إذا رأيته تعلم أنه لا يظهر النسك، رأيت عليه نعلًا لا تشبه نعل القراء، وله رأس كبير معقف، وشراكه مسبل، كأنه اشتري له من السوق، ورأيت عليه إزارًا وجبة برد مخططة". ثم قال: " أراد بهذا والله أعلم ترك التزيي بزي القراء، وإزالته عن نفسه ما يشتهر به"[2].

وقال ابن القيم (٧٥١هـ): " وأما التماوت وخشوع النفاق، فهو: حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعا ومراءاة ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات، فهو يخشع في الظاهر، وحيّة الوادي، وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة"[3].

وروى البيهقي(٤٥٨هـ) عن ابن المبارك (١٨١هـ): "إنه ليعجبني من القراء كل طَلَقٍ مِضحاكٍ، فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمنّ عليك بسلامه أو بعلمه، فلا أكثر الله في القراء مثله"[4].

وهذه الطلاقة التي أشار إليها هي التي كانت تعرف من أخلاق رسول الله ﷺ وكانت هي الغالبة على أصحابه، وسادات المتقدمين من الأئمة الجامعين بين العلم والعمل: كسعيد بن المسيب(٩٤هـ) إمام أهل المدينة وسيد التابعين في وقته مع حسومته المعروفة في أمر الله تعالى، وكعامر الشعبي(١٠٣هـ) من

---

(١) مناقب الإمام أحمد (٢٩٤).

(٢) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٣٠٦/١).

(٣) الروح (٢٣٣).

(٤)شعب الإيمان (٤٠٨/١٠).

أئمة الكوفة، وابن سيرين(١١٠هـ) من أئمة البصرة، والأوزاعي(١٥٧هـ) من أئمة الشام، والليث ابن سعد(١٧٥هـ) من أئمة مصر، وغيرهم رضي الله عنهم. فقد عرف ذلك من وقف على أخبارهم، وهي طريقة الإمام الشافعي(٢٠٤هـ) رحمه الله[١].

وقال السيوطي (٩١١هـ) في الجمع بين إظهار السمت وذم إظهار التماوت: "ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام، فإن ذلك يؤذيهم، فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب، ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم إذا انفسح للمباح؛ فينبغي أن يلقاهم بالصمت والأدب. وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكي وطأطأة الرأس ليرى بعين الزهد. وربما قيل له: " ادع لنا " فتهيأ للدعاء وكأنه مستنزل الإجابة"[٢].

المطلب الثالث: استجلاب الحزن والوجد بمجالس السماع:

الوجد مصدر بمعنى: الحزن[٣]، ومراد هذه الطائفة من الوجد: "إثبات حالة تظهر في السماع[٤] –البدعي– مقرونة بالحزن"[٥].

---

(١) حقيقه السنة والبدعة (ص: ١٥٦).

(٢) حقيقه السنة والبدعة (ص: ١٥٦).

(٣) لسان العرب (٣/٤٤٦).

(٤) جاء في كشف المحجوب (ص:٦٦١): "السماع: استجمام من تعب الوقت، وتنفس لأرباب الأحوال، واستحضار الأسرار لذوي الأشغال".

(٥) التعرف على مذهب أهل التصوف، للكلاباذي (٣٤٠).

وقد جعل المتصوفة من مجالس السماع طقساً تعبدياً روحانياً ألحقوه بالذكر، قال الإمام مالك (١٩٧هـ) في المدونة:" وأكره الإجارة على تعليم الشعر والنوح، وعلى كتابة ذلك"[١]، وقال القاضي عياض(٥٤٤هـ): "معناه: نوح المتصوفة وإنشادهم على طريق النوح والبكاء، فمن اعتقد في ذلك أنه قربة لله – تعالى – فهو ضال مضل"[٢].

قال ابن تيمية(٧٢٨هـ) في وصف هذه البدعة: " فإن أصل سماع القصائد كان تلحينا بإنشاد قصائد مرققة للقلوب تحرك المحبة والشوق، أو الخوف والخشية، أو الحزن والأسف، وغير ذلك،. . وربما ضموا إليه آلة تقوي الصوت وهو الضرب بالقضيب على جلد مخدة أو غيرها وهو التغبير[٣]، ومن المعلوم أن استماع الأصوات يوجب حركة النفس. . . وللأصوات طبائع متنوعة تتنوع آثارها في النفس، وكذلك للكلام المسموع نظمه ونثره، فيجمعون بين الصوت المناسب والحروف المناسبة لهم، وهذا الأمر يفعله بنو آدم من أهل الديانات البدعية؛ كالنصارى والصابئة، وغير أهل الديانات ممن يحرك بذلك حبه وشوقه ووجده، أو حزنه وأسفه، أو حميته وغضبه، أو غير ذلك. فخلف بعد أولئك من صار يجمع عليه أخلاطا من الناس ويرون اجتماعهم لذلك شبكة تصطاد النفوس بزعمهم إلى التوبة والوصول في طريق أهل الارادة"[٤].

---

(١) المدونة (٤٣١/٣).

(٢) التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة، للقاضي عياض (ص:١٤٨٧).

(٣) التغبير: ضرب بقضيب على جلدٍ أو مخدَّة، يخرج له صوت، وينشدون معه أشعارًا مرقِّقة مزهِّدة. مسألة السماع لابن القيم(ص:٢٩).

(٤) الاستقامة (٣٠٥/١).

وقد صح من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه؛ قال: «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة؛ ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب». . . الحديث[١]. قال الإمام الآجري (٣٦٠هـ): " ميزوا هذا الكلام؛ فإنه لم يقل: صرخنا من موعظة، ولا زعقنا، ولا طرقنا على رؤوسنا، ولا ضربنا على صدورنا، ولا زفنا، ولا رقصنا؛ كما يفعل كثير من الجهال؛ يصرخون عند المواعظ ويزعقون ويتغاشون وهذا كله من الشيطان يلعب بهم، وهذا كله بدعة وضلالة، ويقال لمن فعل هذا: اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أصدق الناس موعظة، وأنصح الناس لأمته، وأرق الناس قلبا، وخير الناس من جاء بعده، – لا يشك في ذلك عاقل– ما صرخوا عند موعظته، ولا زعقوا، ولا رقصوا، ولا زفنوا، ولو كان هذا صحيحا؛ لكانوا أحق الناس بهذا أن يفعلوه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه بدعة وباطل ومنكر، فاعلم ذلك "[٢].

وذكر مثل ذلك ابن بطة (٣٨٧هـ) رحمه الله في "الإبانة" وبين مخالفته لهدي السلف، وأنكره[٣].

وسئل الإمام أحمد بن حنبل(٢٤١هـ) عن التغبير؟ فقال: "بدعة، إذا رأيت إنسانًا منهم في طريقٍ فخذْ في طريق أخرى"[٤].

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه، باب: اتباع سنة الخلفاء (١/١٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٣،٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧).

(٢) الأربعون حديثًا (٢،٣٣٣)، وانظر: الاعتصام (١/٣٧٨).

(٣) انظر: الإبانة الكبرى (٧،١٩٥).

(٤) الكلام على مسألة السماع (٣٢).

ولما نقل شيخ الإسلام قول الشافعي(٢٠٤هـ): "خلّفتُ ببغداد شيئًا أحدثْته الزنادقة يُسمونَه التغبيرَ يَصُدُّون به الناس عن القرآن". قال: "فعنده أن هذا السماع أعظم من أن يقال فيه مكروه أو حرام، بل هو عنده مضاد للإيمان، وشرع دين لم يأذن الله به ولم ينزل به سلطان"[(١)].

المطلب الرابع: إظهار الحزن في يوم عاشوراء:

ومما ابتدع في باب الحزن أيضا اتخاذ العشر الأولى من محرم كل عام مأتماً يقام فيه العزاء على وفاة الحسين رضي الله عنه التي توافق يوم عاشوراء. وهذا من الضلالات التي أدخلها الرافضة والباطنية في الدين وقد حكى ابن كثير (٧٧٤هـ) عن ذلك حين حكم البويهيون الرافضة فقال: "وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها، فكانت الدبادب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذ موافقة للحسين، لأنه قتل عطشان، ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن، ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن، حافيات في الأسواق، إلى غير ذلك من البدع الشنيعة، والأهواء الفظيعة، والهتائك المخترعة، وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية; لأنه قتل في أيامهم"[(٢)].

---

(١) الاستقامة (١/ ٢٧٩).

(٢) البداية والنهاية (٥٧٧/١١).

ومن مظاهر الحزن التي يظهرونها: لبس السواد، واللطم، والتطبير[(١)]، والاستماع لقصائد الحزن والمأساة التي تحكي قصة مقتل الحسين. ومما يروونه في كتبهم ما رواه الطوسي(٤٦٠هـ) منسوباً إلى جعفر الصادق(١٤٨هـ)-زورا- أنه قال: ". . . وقد شققن الجيوب وَ لَطَمْنَ الخدود الفاطميات على الحسين ابن علي -عليه السلام[(٢)]- وعلى مثله تُلْطَمُ الخدود و تشق الجيوب "[(٣)].

وهذه البدع والجهالات فضلا عن كونها مخالفة صريحة لعموم ما ورد عن النبي ﷺ من النهي عن لطم الخدود وشق الجيوب، فقال: "ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"[(٤)]، فهو مخالف أيضا لخصوص ما ورد عن رسول الله ﷺ من كون يوم عاشوراء يوم شكر، وما ورد من استحباب صيامه[(٥)].

---

(١) التطبير: نوع من مراسم العزاء، يتم خلاله ضرب الرؤوس بالسيوف وإدماؤها. معجم ألفاظ الفقه الجعفري(ص:١١٤).

(٢) وتخصيص آل البيت رضي الله عنهم بالسلام من بدع الرافضة، قال ابن كثير: "وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يُفرد علي رضي الله عنه بأن يقال " عليه السلام " من دون سائر الصحابة أو " كرم الله وجهه "، وهذا وإن كان معناه صحيحا، لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك؛ فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، والشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم " " تفسير ابن كثير " (٣ / ٥١٧).

(٣) تهذيب الأحكام، للطوسي (٣٢٥/٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: ما ينهى من الويل ودعوى الجاهلية عند المصيبة (٨١/٢)، حديث:١٢٩٨.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: "وهل أتاك حديث موسى"[طه: ٩] (١٥٣/٤). حديث:٣٣٩٧.

وقال ابن رجب (٧٩٥هـ): "وأما اتخاذه مأتماً كما تفعل الرافضة لأجل قتل الحسين بن علي فيه، فهو من عمل من ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً، فكيف بمن هو دونهم"[1].

وقال الهيتمي (٩٧٣هـ): "فمن ذكر ذلك اليوم مصابه –أي: الحسين رضي الله عنه– لم ينبغ أن يشتغل إلا بالاسترجاع امتثالًا للأمر، وإحرازًا لما رتبه تعالى عليه بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٧]، ولا يشتغل ذلك اليوم إلا بذلك ونحوه من عظائم الطاعات كالصوم، وإياه ثم إياه أن يشغله ببدع الرافضة من الندب والحزن والنياحة والحزن إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين، وإلا لكان يوم وفاته صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وأحرى"[2].

المطلب الخامس: إظهار الحزن على وداع رمضان:

ومما استحدث من البدع فيما يتعلق بالحزن، ما يسمى: "توحيش رمضان"، والتوحيش هو: قول الخطباء على المنابر في آخر جمعة من رمضان: "لا أوحش الله منك يا شهر رمضان، لا أوحش الله منك يا شهر القرآن، يا شهر المصابيح،

---

(١) لطائف المعارف، لابن رجب (ص:٥٤).

(٢) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٥٣٥/٢).

يا شهر التراويح، يا شهر المفاتيح"[١] . وهذه بدعة لم يفعلها أحد من السلف، ولم يرد عنهم توديع رمضان بهذه البدع، لا سيما والناس بحاجة إلى آداب يتعلموها لما يستقبلهم من صدقة الفطر ومواساة الفقراء وغير ذلك مما يقتضيه المقام[٢] .

وكذلك من مظاهر الابتداع في الحزن على رمضان: "نشيد وداع رمضان"، وقد وصفه صاحب كتاب "إصلاح المساجد" بقوله: "هذه العادة المستهجنة جارية في أغلب المساجد، ذلك أنه إذا بقي من رمضان خمس ليال أو ثلاث يجتمع المؤذنون والمتطوعون من أصحابهم، فإذا فرغ الإمام من سلام وتر رمضان. . أخذوا يتناوبون مقاطيع منظومة في التأسف على انسلاخ رمضان،. . باذلين قصارى جهدهم في الصيحة والصراخ بضجيج يصم الآذان ويسمع الصم،. . . ولعلم الناس بأن مثل تلك الليالي هي ليالي الوداع ترى في أطراف المساجد وعلى سدده وأبوابه وداخل صحنه النساء والرجال والشبان والولدان، بحالة تقشعر لقبحها الأبدان؛. . إلى غير ذلك مما لو رآه السلف لضربوا على أيدي مبتدعيه، وقاوموا بكل قواهم من أحدث فيه "[٣] .

* ومن ذلك أيضا تبادل التعازي لأجل وداع شهر رمضان، وفراقه. وهذه البدع مع كونها لا أصل لها فإنها مناقضة للنصوص؛ إذ أن الله شرع لنا التكبير

---

(١) السنن والمبتدعات،لمحمد الشقيري (ص: ١٦١)، وانظر: معجم البدع (٢٦٩/١)، بدع القراء (ص:٤٢).

(٢) انظر: إصلاح المساجد من البدع والعوائد (١٤٦).

(٣) المرجع السابق.

بعد الفراغ من عبادة الصيام، ولم يشرع الحزن ولا التعزية. قال الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥]، والأصل أن يوم العيد هو يوم فرح وسرور، يتعبد الله فيه بإظهار الفرح بإكمال العدة واستيفاء الشهر، فإن هذا من أظهر شعائر الدين[١]. وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم لجاريتين أن تغنيان بالدف، وقال: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَإِنَّ عِيدَنَا هَذَا اليَوْمُ»[٢].

وإظهار الحزن في نهاية رمضان يعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم: "للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ"[٣]. أي للصائم مرتان من الفرح عظيمتان: إحداهما: في الدنيا فرحة عند فطره، أي: إفطاره بالخروج عن عهدة المأمور، أو بوجدان التوفيق لإتمام الصوم، أو بالأكل والشرب بعد الجوع والعطش، أو بما يرجو من حصول الثواب، والأخرى: فرحة عند لقاء ربه، أي: بنيل الجزاء، أو حصول الثناء، أو الفوز باللقاء[٤].

أما ما ينقل عن بعض السلف أنه يظهر عليه الحزن في نهاية رمضان، أو يوم العيد كالذي يروى عن علي رضي الله عنه أنه كان ينادي في آخر ليلة من

---

(١) انظر: معرفة السنن والآثار (٣/٢٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: مناقب الأنصار، باب: مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة (٥/٦٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه،كتاب الصوم ،باب: "هل يقول إني صائم إذا شُتم" (٣/٢٦) ، ومسلم ،كتاب الصيام، باب: فضل الصيام (٢/٨٠٧).

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٤٩).

شهر رمضان: يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه ومن هذا المحروم فنعزيه، وعن ابن مسعود مثله[1]، فقد وجه ذلك ابن رجب (٧٩٥هـ) فقال: "ورد عن بعض السلف أنه يظهر عليه الحزن يوم عيد الفطر، فيقال له: إنه يوم فرح وسرور، فيقول: "صدقتم، ولكني عبد أمرني مولاي أن أعمل له عملًا، فلا أدري أيقبله مني أم لا؟"[2]، وهذا لخوفه من عدم القبول، وخشيته من أن يكون عمله في رمضان مردودًا، وهذا لا يدل على التعبد لله بذلك، **وهو ندم المقصر فيكون من قبيل الحزن على فوات الطاعة، والخشية من عدم القبول، وهو باعث محمود كما سيأتي بيانه، وضابطه ألا يظهر على الجوارح فيستبدل شعيرة الفرح بالعيد بإظهار الحزن.**

وسبق بيان أن العبرة بمثل هذه النقول عن بعض السلف فيما وافق النصوص.

ومما سبق يتبين أن من تعبد الله بطول الحزن فهو مبتدع، وكذا من استجلب الحزن بالسماع المحرم، ومن جعل يوم عاشوراء، أو آخر رمضان أيامًا للحزن، فهو مبتدع وليس على طريق سنة.

* * *

(١) انظر: لطائف المعارف (٢١٠).

(٢) المرجع السابق (ص:٢٠٩).

المبحث الثاني: الحزن على الأقدار المتعلقة بالأمر الشرعي، وأحكامه:

المطلب الأول: الحزن على فوات الطاعة، وأحكامه:

أقسم الله في كتابه بالنفس اللوامة، فقال تعالى:﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢]، وهي التي تلوم صاحبها -في أحد أقوال المفسرين- فقد روى الطبري (٣١٠هـ) عن مجاهد (١٠٤هـ)، قال: "تندم على ما فات، وتلوم عليه"[(١)]، وقال الفراء (٢٠٧هـ): "ليس من نفس برة ولا فاجرة، إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيرًا، قالت: هلا ازددت. وإن كانت عملت سوءا، قالت: ليتني لم أفعل. وهذا قول عطاء(١١٤هـ)، عن ابن عباس"[(٢)].

وقد ذكر الله جل جلاله في سورة التوبة حال الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر شرعي بأبلغ وصف يبين حال المستاء الحزين على فوات الطاعة، فقال﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[التوبة:١١٨]، قال الحسن (١١٠هـ): "يا سبحان الله! والله ما أكلوا مالًا حرامًا، ولا أصابوا دمًا حرامًا، ولا أفسدوا في

---

(١) تفسير الطبري (٤٩/٢٤).

(٢) تفسير الواحدي (٣٩٠/٤).

الأرض، غير أنهم قد أبطئوا في تلك الغزاة عن رسول الله ﷺ فبلغ منهم ما تسمعون"[1].

وقال جل جلاله في شأن الذين استحملوه ﷺ وكانوا أهل حاجة فقال: "لا أجد ما أحملكم عليه"، فتولوا يبكون، وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون، وسموا "البكاؤون": ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢﴾ [التوبة:٩٢]، فلم يُمدحوا على نفس الحزن، وإنما مُدحوا على ما دل عليه الحزن من قوة إيمانهم، وفيه تعريض بالمنافقين الذين لم يحزنوا على تخلفهم، بل غبطوا نفوسهم به[2]، قال ابن القيم (٧٥١هـ): "ولكن يحمد في الحزن سببه، ومصدره، ولازمه، لا ذاته، فإن المؤمن إما أن يحزن على تفريطه وتقصيره في خدمة ربه وعبوديته، وإما أن يحزن على تورّطه في مخالفته ومعصيته، وضياع أيامه وأوقاته، وهذا يدل على صحة الإيمان في قلبه، وعلى حياته، حيث شغل قلبه بمثل هذا الألم فحزن عليه، ولو كان قلبه ميتاً لم يحس بذلك، ولم يحزن ولم يتألم، فما لجرح بميت إيلام، وكلما كان قلبه أشد حياة كان شعوره بهذا الألم أقوى، ولكن الحزن لا يجدى عليه، فإنه يضعفه"[3].

---

(١) تفسير بن أبي حاتم (١٩٠٤/٦).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٥٠١/١).

(٣)طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٧٩).

وضابط هذا الحزن ألا يفضي إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، فإنه منهي عنه، وهو من مصائد الشيطان، قال تعالى على لسان إبراهيم ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[الحجر: ٥٦]. والقنوط كبيرة من كبائر الذنوب، فعن ابن مسعود ﷺ قال: "أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله"(١). قال الشوكاني(١٢٥٥هـ): "القنوط: الإياس من رحمة الله"(٢). أما اليأس فهو: انقطاع الطمع من الشيء(٣)، فمعناهما واحد؛ إلا أن القنوط أشد من اليأس، قال ابن عطية (٥٤٢هـ): "القنوط:أشد اليأس وأتمه"(٤). والقنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلاَّ عند الجهل بأمور: "أحدها: أن يجهل كونه تعالى قادراً عليه، وثانيها: أن يجهل كونه تعالى عالماً باحتياج ذلك العبد إليه، وثالثها: أن يجهل كونه تعالى، منزّهاً عن البخل، والحاجة"(٥).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٥٦/٩)، والبيهقي في شعب الإيمان(٣٤٠/٢)، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد(١٠٤/١) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٥١).

(٢) فتح القدير (٢٦٠/٤)، وانظر: اللباب في علوم الكتاب (٤٧١،١١).

(٣) معجم الفروق اللغوية (٤٦٣،١)، وانظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (٦٣٣،١).

(٤) المحرر الوجيز (٣٦٦،٣) وانظر : معاني القرآن للنحاس (٣١٤،٦).

(٥) اللباب في علوم الكتاب (٤٧١/١١).

المطلب الثاني: الحزن على فعل المعصية، وأحكامه:

الأصل في المؤمن أن يُسر بالحسنة، ويُساء بالسيئة، كما قال النبيﷺ :"من سرَّتهُ حسنتهُ و ساءته سيئتهُ فهو مؤمن"[(١)]، فجعل الاستياء والحزن على فعل السيئة من الإيمان، ولذا كان النّدم على مقارفة الذنب من شروط قبول التوبة، فعن عبد الله بن معقل، قال: كان أبي عند ابن مسعود، فسمعه يقول: سمعت رسول الله ﷺ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»[(٢)]، حتى قال بعض أهل العلم: " يكفي في التوبة تحقق الندم، فإنه يستلزم الإقلاع عن الذنوب، والعزم على عدم العَوْد، فهما ناشئان عن الندم لا أصلان معه"[(٣)].

والندم هو: الأسف. والأسف: المبالغة في الحزن[(٤)]. وقد عد ابن تيمية (٧٢٨هـ) الحزن على المصيبة في الدين من الحزن الذي يُثاب صاحبه على سببه وباعثه، فقال: "وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه، ويحمد عليه؛ فيكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن؛ كالحزين على مصيبة في دينه"[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن عائشة –رضي الله عنها– (٤٤٧/٤١) ، والترمذي في سننه، باب: ماجاء في لزوم الجماعة (٤٦٥/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (رقم: ٢١٦٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١١٦/٧) ، وابن ماجه في السنن، باب: ذكر التوبة (١٤٢٠/٢) ، وصححه الألباني، في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٢٥٢/٩).

(٣) فتح الباري (٤٧١/١٣)، وانظر: مرقاة المفاتيح (١٦٣٧/٤).

(٤) لسان العرب (٥٧٢/١٢) ، (٥/٩).

(٥) مجموع الفتاوى (١٧/١٠).

و قال ابن القيم (٧٥١هـ): "والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبدا، ولا يكمل بها فرحه، بل لا يباشرها إلا والحزن مخالط لقلبه، ولكن سكر الشهوة يحجبه عن الشعور به، ومتى خلى قلبه من هذا الحزن، واشتدت غبطته وسروره فليتهم إيمانه، وليبكِ على موت قلبه، فإنه لو كان حيا لأحزنه ارتكابه للذنب، وغاظه وصعب عليه"[(١)].

وضابط هذا الحزن ألا يشغله عن الطاعة، ولا ينقله للقنوط واليأس من رحمة الله، قال ابن القيم (٧٥١هـ): "وهذا يدل على صحة الإيمان في قلبه حيث شغل قلبه بمثل هذا الألم فحزن، ولكن الحزن لا يجدي عليه بل الذي ينفعه أن يستقبل السير ويجد ويشمر"[(٢)].

ومما سبق يتبين أن الحزن المتعلق بالأوامر الشرعية إن كان لفوات طاعة أو فعل معصية فيؤجر الإنسان على الباعث لا على نفس الحزن، بشرط أن لا ينقله إلى القنوط من رحمة الله، ولا اليأس من روح الله، ولا يكون معه سوء ظن برب العالمين، الرحمن الرحيم، غافر الذنب، وقابل التوب.

* * *

---

(١) مدارج السالكين (١/١٩٨)، وانظر: إحياء علوم الدين (٢/٢٧٦).

(٢) شعب الإيمان ، باب في الصبر على المصائب (١٢،١٧٧). تفسير الراغب الأصفهاني (١/٣٥٠).

المبحث الثالث: الحزن على الأقدار المتعلقة بالأمر الكوني، وأحكامه:

جعل الله الدنيا دار ابتلاء، وفيها من المصائب والأحزان ما لا انفكاك عنه، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ عن ابن عباس قال: "أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء وأنه مبتليهم فيها"[(١)]، وهذا الحزن له بواعث مختلفة وأحوال متفاوتة، وبيانه في المطالب التالية:

المطلب الأول: الحزن على الأقدار الكونية المتعلقة بالنفس، وأحكامه، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الحزن على المصائب، وأحكامه:

وذلك كفقد حبيب، أوإصابة بمرض، أوضيق عيش، وهذا حزن جبلي، لا يؤاخذ عليه العبد؛ إن لم يتجاوز فيه. ويُحمد ويثاب عليه إن صبر واحتسب، واسترجع، قال ﷺ: " إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ "[(٢)]، وفي رواية: "فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ"[(٣)].

---

(١) شعب الإيمان، باب: في الصبر على المصائب (١٢،١٧٧). وانظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٣٥٠/١).

(٢) رواه أحمد في المسند(٣٥/٣٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب(٨٩/١). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥١/١).

(٣) رواه الترمذي، باب ماجاء في الصبر على البلاء (٦٠١،٤)، وقال: "حديث حسن غريب من هذا الوجه". وابن ماجه في سننه، باب الصبر على البلاء (١٣٣٢،٢). وحسنه الألباني، في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٩٦/٥).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ -حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا- إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ "[(١)].

ومحل الثواب على الحزن هنا كونه بلية أصيب بها المؤمن، لذا قال: "كفّر بها من خطاياه"، ثم إذا صبر المؤمن على مصيبة الحزن، واحتسب نال الأجر من الله. قال ابن القيم (٧٥١هـ): "وفرقٌ بين ما يثاب عليه العبد من المأمورات، وما يثاب عليه من البليات"[(٢)].

ويكون الحزن مذموماً ومنهياً عنه إذا كان مصحوباً بما يدل على الجزع والسخط على القضاء.

ومن ذلك:

* **اللطم، وشق الجيب**: وقد قال صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»[(٣)]. قال ابن حجر(٨٥٢هـ): "وكأن السبب في ذلك ما تضمنه ذلك من عدم الرضا بالقضاء"[(٤)].

وخمش الوجه: لقوله صلى الله عليه وسلم: " نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ: صَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ، خَمْشِ وُجُوهٍ، وَشَقِّ جُيُوبٍ. . . "[(٥)]، وقد يدخل فيه **التصفيق باليد** لأنه من عمل الجوارح، **ولما** روى عن رسول الله

---

(١) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب: ماجاء في كفارة المرض(١١٤/٧).

(٢) طريق الهجرتين(٢٩٧).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) فتح الباري (١٦٤/٣).

(٥) رواه الترمذي في سننه ،باب: ما جاء في الرخصة في البكاء (٣١٩/٣)، وقال: حديث حسن، وابن أبي شيبة، في المصنف (٦٢/٣)، وحسنه الألباني، في الجامع الصحيح (٣٥٦/٢٨).

صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال: يا رسول الله ما يحبط الأجر من المصيبة؟ قال: «أَنْ يُصَفِّقَ الرَّجُلُ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ» وصفق النبي صلى الله عليه وسلم بيمينه على شماله[1].

وكذا الضرب على الفخذ: قال الذهبي: " رُوِيَ أَيْضا أَن الضَّرْب على الْفَخْذ عِنْد الْمُصِيبَة يحبط الْأجر"[2]، وجاء في الفتاوى الهندية: "والضرب على الفخذ والصدر، وإيقاد النار على القبور، فمن رسوم الجاهلية، والباطل والغرور"[3].

فكل هذه الأفعال إذا اقترنت بالحزن فإنها تخرجه من الحزن المباح إلى الحزن المنهي عنه؛ لأنها من أفعال الجوارح ويفعلها الإنسان بإرادته، وأما سوى ذلك -كدمع العين، وحزن القلب- فلا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرم[4].

*__النياحة، والندب، وبعض المراثي__: جاء في "لسان العرب": والمناحة والنوح: النساء يجتمعن للحزن[5] والنوح أصله التناوح وهو التقابل، ثم استعمل في اجتماع النساء وتقابلهن في البكاء على الميت[6]. والنياحة من عمل

---

(١) المراسيل، لأبي داود (ص:٢٩٧) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، قال المحقق: "عبدالحميد بن بكار: روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وباقي السند رجاله ثقات".

(٢) الكبائر (ص: ١٩٦). ولم أجد الحديث إلا في: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين (ص:٢٦٠).

(٣) الفتاوى الهندية (١/ ١٦٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/١٠).

(٥) لسان العرب (٦٢٧/٢).

(٦) فتح الباري (١٩٩/١).

الجاهلية، وقد نهى عنها الإسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ثَلَاثٌ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُهُنَّ أَهْلُ الْإِسْلَامِ: النِّيَاحَةُ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالْأَنْوَاءِ، وَالتَّعَايُرُ"[1]، وقال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»[2]، قال ابن الجوزي(٥٩٧هـ): "قوله: " ليس منا " أي ليس على طريقتنا وسنتنا، وإنما نهى عما يدخل تحت الكسب من ضرب الخد، وشق الجيب، ولم ينه عن البكاء والحزن. وأما دعوى الجاهلية فما كانوا يذكرونه عند موت الميت، تارة من تعظيمه ومدحه، وتارة من الندب عليه"[3].

والنّدب: أَن تعد شمائل الْمَيِّت وأياديه؛ فَيُقَال: واكريماه، واشجاعاه، واكهفاه، واجبلاه[4].

وفي النهي عن النياحة أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن ذلك يشبه التظلم والاستغاثة على الله عز وجل، وفيه تشبه بالاستعداء. وما فعله الله تعالى؛ فهو حق وعدل[5].

وكذلك لا يجوز الصراخ على الميت، والدعاء بالويل والثبور، وكل ما يهيج الحزن فهو من قبيل النياحة، ومنه بعض المراثي التي تهيج الأحزان، قال

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥١٩/١٢)، وابن حبان في صحيحه (٤١٠/٧)، وصححه الألباني في "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان " (١١٣/٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: ليس منا من ضرب الخدود (٨٢/٢).

(٣) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢٩٧/١).

(٤) انظر: تحرير ألفاظ التنبيه، للنووي (ص:١٠٠).

(٥) انظر: الحوادث والبدع (ص:١٧٢).

القرافي(٦٨٤هـ): "ليس الأمر على تحريم النواح وتفسيق النائحة مطلقا، ولا على إباحة المراثي وعدم تفسيق الشعراء الذين يرثون الموتى من الملوك والأعيان مطلقا، وإن اشتهر ذلك بين الناس، بل الحق أن كلا من النواح والمراثي، على أربعة أقسام: حرام كبيرة، وحرام صغيرة، ومباح، ومندوب.

أما ضابط ما هو حرام كبيرة من النواح والمراثي، فكل كلام يقرر في النفوس ويوضح للأفهام نسبة الرب سبحانه وتعالى إلى الجور في قضائه والتبرم بقدره، وأن الواقع من موت هذا الميت لم يكن مصلحة بل مفسدة عظيمة، فيحمل السامعين على اعتقاد ذلك يكون حراما كبيرة؛ نظما كان، أو نثرا، مرثية، أو نواحا، وذلك كأن تقول النائحة لفظًا يقتضي فرط جمال الميت،. . وتبالغ فيما كان يفعل من إكرام الضيف،. . إلى غير ذلك من صفات الميت التي يقتضي مثلها أن لا يموت، فإن بموته تنقطع هذه المصالح. .

وأما ضابط ما هو حرام صغيرة: فكل كلام. . لم يصل إلى الغاية المذكورة في القسم الأول، إلا أنه يبعد السلوة عن أهل الميت، ويهيج الأسف عليهم، حتى يؤدي إلى تعذيب نفوسهم وقلة صبرهم وضجرهم، وربما بعثهم على القنوط، وشق الجيوب، وضرب الخدود يكون حراما صغيرة. .

وأما ضابط ما هو مباح من النواح والمراثي فكل كلام لم يكن فيه شيء مما في القسمين قبله، بل ذكر فيه دين الميت، وأنه انتقل إلى جزاء أعماله الحسنة، ومجاورة أهل السعادة، وأنه أتى عليه ما قضى على عامة الناس، وأن هذا سبيل لا بد منه، وأنه موطن اشترك فيه جميع الخلائق، وباب لا بد من دخوله، يكون مباحا خاليا عن التحريم. . .

وأما ضابط المندوب فكل كلام زاد على ما في قسم المباح؛ من أمر أهل الميت بالصبر، وحثهم على طلب الأجر والثواب، وأنهم ينبغي لهم أن يحتسبوا ميتهم في سبيل الله تعالى، ويعتمدون في حسن الخلف على الله تعالى، ونحو ذلك، يكون مندوبًا إليه مأمورًا به"[(١)].

وقد فهم السلف ذلك، والتزموه، نُقل عن ابن عقيل(٥١٣هـ) لما توفي ابنه عقيل، أنه حزن عليه وصبر صبرًا جميلًا، فلما دفن جعل يتشكر للناس، فقرأ قارئ: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:٧٨] فبكى ابن عقيل، وبكى الناس وضج الموضع بالبكاء، فقال ابن عقيل للقارئ: "يا هذا إن كان يهيج الحزن فهو نياحة، والقرآن لم ينزل للنوح بل لتسكين الأحزان"[(٢)].

ومما يدخل في ذلك كتابة المذكرات التي يخاطب فيها الإنسان ميتا له، ويذكر فيه عظيم فقده له، وتكالب الدنيا عليه بعده، وكذا الخواطر التي تهيج الحزن، والشعر الذي من هذا الباب.

قال الخطابي (٣٨٨هـ) معلقًا على حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: "نهى رسول الله ﷺ عن المراثي"[(٣)]: " والذي ذكره من المراثي: النياحة،

---

(١) الفروق، للقرافي (٢/ ١٨١).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح (٢/ ٢٩٤).

(٣) رواه ابن ماجة، باب: ما جاء في البكاء على الميت(١/ ٥٠٧)، (ح ١٥٩٢)، والحاكم في المستدرك(١/٥١٢) وصححه، وقال الذهبي: قلت: "فيه إبراهيم الهجري وقد ضعفوه". وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة(٢٧٣/١٠).

وما يدخل في معناها من تأبين الميت على ما جرى عليه مذاهب أهل الجاهلية من قول المراثي، ونصب النوائح على قبور موتاهم، فأما المراثي التي فيها ثناء على الميت ودعاء له، فغير مكروهة، وقد رثى رسول الله غير واحد من الصحابة، وندبته فاطمة بكلام مذكور عنها، ورثي أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة بمراث رواها العلماء، ولم يكرهوا إنشادها، وهي أكثر من أن تحصى"[(١)].

***قول: "لو" على سبيل الاعتراض**: من ذلك قول المنافقين عمن قُتل: ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾[آل عمران:١٥٦]**قَدْ** قال ابن جرير(٣١٠هـ): " يعني: أنهم يقولون ذلك، كي يجعل الله قولهم ذلك حزنا في قلوبهم وغما، ويجهلون أن ذلك إلى الله جل ثناؤه وبيده.[(٢)]

وعن أبي هريرةرضي الله عنه أن النبي ﷺ: « وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[(٣)]. قال النووي(٦٧٦هـ): "فإن لو تفتح عمل الشيطان أي يلقي في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان"[(٤)].

---

(١) غريب الحديث (٦٤٩/١). وانظر: تحفة الأحوذي (٢٥٣/٦)، و"فتح الباري" (١٦٤/٣-١٦٥).

(٢) تفسير الطبري (٣٣٠/٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٢٠٥٢/٤)، حديث (٢٦٦٤).

(٤) شرح النووي على مسلم (٢١٦/١٦).

قال ابن تيمية(٧٢٨هـ): "" لو " تستعمل على وجهين: أحدهما على وجه الحزن على الماضي والجزع من المقدور فهذا هو الذي نهى عنه كما قال تعالى: ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران:١٥٦]، وهذا هو الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «. . . فإن لو تفتح عمل الشيطان» أي: تفتح عليك الحزن والجزع، وذلك يضر ولا ينفع بل اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك"[١].

فنهى الرجل بعد إصابة ما قدر له أن يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، وأخبر أن ذلك ذريعة إلى عمل الشيطان، فإنه لا يجدي عليه إلا الحزن والندم وضيقة الصدر والسخط على المقدور، وما ذاك لمجرد لفظ " لو "، بل لما قارنها من الأمور القائمة بقلبه المنافية لكمال الإيمان الفاتحة لعمل الشيطان، بل أرشد العبد في هذه الحال إلى ما هو أنفع له؛ وهو: الإيمان بالقدر، والتفويض والتسليم للمشيئة الإلهية، وأنه ما شاء الله كان ولا بد؛ فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط[٢].

فالمؤمن مأمور حتى في حال حزنه أن يكون مؤمنًا بقضاء الله وقدره، ويأثم على تجاوز حزنه إلى أقوال أو أفعال تدل على التسخط والجزع، والاعتراض على أمر الله، فإن من الإيمان التسليم والرضا بأقدار الله، وقد بين الله تعالى أثر الإيمان بالقدر في تخليص القلب من القلق الناتج عن الحزن على فوات محبوب،

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٤٨/١٨).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٦٠/٥).

أو الخوف من حصول مكروه، فقال ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد ٢٢-٢٣]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي (١٣٧٦هـ) رحمه الله: "وأخبر الله عباده بذلك، لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، فلا ييأسوا ويحزنوا على ما فاتهم مما طمحت له أنفسهم، وتشوفوا إليه لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه"[(١)].

وقال البيهقي(٤٥٨هـ) في تفسير الآية: " وهذا يؤكد قول الحليمي(٤٠٣هـ) -رحمه الله- في هذه الآية: "إن المراد بالحزن: التسخط والتفجر، والمراد بالفرح: فرح التبذخ والتكبر"[(٢)].

*ترك شيئ مما كان يفعله قبل المصيبة، **فقد عد العلماء هذا الترك من الجزع، قال عبد الله بن المبارك (١٨١هـ): "أتى رجل يزيد بن يزيد وهو يصلي، وابنه في الموت، فقال: ابنك يقضي وأنت تصلي؟ فقال: إن الرجل، إذا كان له عمل يعمله، فتركه يوماً واحداً، كان ذلك خللاً في عمله"[(٣)].

وقيل: "مات ابن لبعض قضاة البصرة، فاجتمع إليه العلماء والفقهاء، فتذاكروا ما تبين به جزع الرجل من صبره، فأجمعوا أنه إذا ترك شيئاً مما كان يصنعه فقد جزع"[(٤)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٤٢،١).

(٢) شعب الإيمان (٣٩٧/١).

(٣) شعب الإيمان (٣٩٧/١).

(٤) تسلية أهل المصائب، للمنبجي (ص:١٦٦).

*ومنه ما يفعله بعض من يصاب بمصيبة؛ من تقصد وتعمد **اعتزال الاجتماعات والأفراح وملازمة البيت**، قال بكر بن عبد الله المزني (١٠٨هـ): كان يقال: "من الاستكانة الجلوس في البيت بعد المصيبة"[(١)].

*وكذلك **ترك الزينة التي كانت من عادته من أجل المصيبة**: وقد أنكر إسحاق ابن راهويه (٢٣٨هـ) أن يترك لبس ما عادته لبسه، وقال: هو من الجزع. وقال ثابت: "أصيب عبد الله بن مطرف بمصيبة، فرأيته أحسن شيء شارة وأطيبه. وقال خالد بن أبي عثمان القرشي: كان سعيد بن جبير(٩٥هـ) يعزيني في ابني فرآني أطوف بالبيت متقنعًا، فكشف القناع عن رأسي، وقال: الاستكانة من الجزع"[(٢)].

قال ابن القيم (٧٥١هـ) عن حال السلف عند المصيبة: "وبالجملة فعادتهم أنهم لم يكونوا يغيرون شيئًا من زيهم قبل المصيبة، ولا يتركون ما كانوا يعملونه، فهذا كله منافٍ للصبر والله سبحانه أعلم"[(٣)].

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن تحد المرأة على أحد –غير زوجها– أكثر من ثلاثة أيام. قالت زينب بنت أبي سلمة: "دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب. فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق، أو غيره. فدهنت به جارية. ثم

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٢٧٣).

(٢) المرجع السابق، والصفحة نفسها.

(٣)عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٢٧٣).

مسحت بعارضيها. ثم قالت: والله، ما لي بالطيب حاجة، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله، واليوم الآخر، أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا»[(١)].

*وكذا **ملازمة البكاء** مما ينافي الصبر، و قد أمهل النبي صلى الله عليه وسلم آل جعفر - ثلاثا — بعد وفاته ثم أتاهم فقال: « لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ»[(٢)]. ففيه دلالة على أن البكاء والتحزن على الميت من غير ندبة ونياحة جائز ثلاثة أيام[(٣)].

***مسأله: هل البكاء ينافي الصبر؟**

-أما البكاء عند المصيبة فهو أثر من آثار الحزن، وهو مما فطر الله عليه الخلق، كما خلق فيهم الموت والحياة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم:٤٣-٤٤]، وما كان من مقتضيات الفطر فلا يأت الشرع بمنعه فليس باستطاعة الإنسان حبسه[(٤)]، وإنما يأت الشرع بتهذيبه، وضبطه لئلا يتجاوز المباح المأذون به؛ لذا فالجمهور على إباحة البكاء على

(١) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب: الجنائز، باب: إحداد المرأة على غير زوجها (٧٨/٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٩/٣)، وأبو داوود في سننه،كتاب: الترجل، باب: حلق الرأس (٨٣/٣) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٣٦٧/٢).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داوود (١٦٤/١١)

(٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٣/ ٢٨٧)

الميت، ما لم يكن مصحوبًا بنواح أو ندب ونحو ذلك[1]، وقد بكى النبي ﷺ لما مات ابنه إبراهيم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخلنا مع رسول الله ﷺعلى أبي سيف القين، وكان ظئرا[2] لإبراهيمعليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم، فقبله، وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[3]، قال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ): "هذا الحديث يفسر البكاء المباح، والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع العين، ورقة القلب من غير سخط لأمر الله، وهو أبين شيء وقع في هذا المعنى"[4]، وقال ابن الملقن (٨٠٤هـ): "وهذا الحديث أبين شيء وقع في البكاء، وهو يبين ما أشكل من المراد بالأحاديث المخالفة له، وفيه ثلاثة أوجه جائزة: حزن القلب، والبكاء، والقول الذي لا تحذير فيه، وأن الممنوع النوح وما في معناه مما يفهم أنه لم يرض بقضاء

---

(١) الإقناع في مسائل الإجماع (١/١٩٠)، وانظر في حكم البكاء على الميت: الاستذكار، لابن عبد البر (٣/٦٨)، المجموع، للنووي (٥/٢٠٧)، سبل السلام (١/٥٠٦)، معرفة السنن والآثار (٥/٣٤٥).

(٢) يقال لزوج المرضعة "ظِئر". النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (٣/١٥٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا بك لمحزونون» (٢/٨٢).

(٤) فتح الباري (٣/١٧٤).

الله ويتسخط له، إذ الفطرة مجبولة على الحزن، وقد قَالَ الحسن البصري(١١٠هـ): العين لا يملكها أحد، صبابة المرء بأخيه"[١].

وكذا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "شهدنا بنتًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر، قال: فرأيت عينيه تدمعان"[٢].

وبين ﷺ في مقام آخر ضابط الإذن بالبكاء، فقال: « إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا – وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ – أَوْ يَرْحَمُ»[٣].

كما ورد في بعض الآثار انتحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند تلقيه خبر جعفر وزيد رضي الله عنهما. فعن خالد بن سلمة المخزومي، قال: لما جاء مصاب جعفر، وزيد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منزل زيد فلما كان بالباب تلقته ابنة لزيد فجهشت في وجهه بالبكاء فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتحب فقيل: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «شَوْقُ الْحَبِيبِ إِلَى الْحَبِيبِ»[٤]، والنَّحِيبُ: أَشدُّ البكاء[٥]. وفي حديث ابن عمر لما نُعِيَ إِليه حُجْرٌ بن عدي: غَلَب عليه النَّحِيبُ[٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا بك لمحزونون» (٨٢/٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه،كتاب: الجنائز، باب: من يدخل قبر المرأة (٧٩/٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: البكاء عند المريض (٨٤/٢).

(٤) المراسيل لأبي داود (ص: ٢٩٧)، وذكره ابن سعد في الطبقات، وقد تحرفت فيه "خالد بن سلمة" إلى "خالد بن شمير" انظر: الطبقات الكبرى (٣٤/٣)، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (١٣٩/١)، وفي حاشية سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٠/١) رجاله ثقات، لكنه منقطع.

(٥) الصحاح (٢٢٢/١)، مختار الصحاح (ص:٣٠٦).

(٦) البداية والنهاية (٦٠،٨).

كما ورد عن الصحابة مثل هذا المعنى فعن عمر رضي الله عنه، قال: " دعهن يبكين على أبي سليمان –يعني خالد بن الوليد– ما لم يكن نقع أو لقلقة، والنقع: التراب على الرأس، واللقلقة: الصوت"[(١)].

أما ما ورد من النهي عن البكاء؛ كما في قوله ﷺ: " دَعْهُنَّ، فَإِذا أوجب، فَلَا تبكين باكية " قَالُوا: وَمَا الْوُجُوب يَا رَسُول الله؟ قَالَ: " الْمَوْت "[(٢)] فهو محمول على البكاء المعهود في الجاهلية، قال ابن القيم (٧٥١هـ) بعد أن ذكر الأقوال في جواز البكاء على الميت وتحريمه: "فإذا بكى على الميت البكاء المحرم، وهو البكاء الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، والبكاء على الميت عندهم اسم لذلك وهو معروف في نثرهم ونظمهم، تألم الميت بذلك في قبره، فهذا التألم هو عذابه بالبكاء عليه[(٣)]، وهذه طريقة شيخنا في هذه الأحاديث"[(٤)]. وبهذا التفريق الذي ذكره ابن القيم فيما يقع عليه اسم البكاء يمكن الجمع بين النهي عن البكاء وجوازه، وأورد رحمه الله في "عدة الصابرين" اثني عشرة حجة تدل على

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: ما يكره من النياحة على الميت (٢/٨٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٩/١٦٣)، وأبو داوود في سننه، كتاب: الجنائز، باب: في فضل من مات في الطاعون (٣/١٨٨)، وابن حبان في صحيحه (٧/٤٦١). وصححه الألباني في "التعليقات الحسان" (٧/٤٦١).

(٣) يقصد قوله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه». رواه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه» إذا كان النوح من سنته" (٢/٧٩).

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (١٠٨).

عدم كراهة البكاء، وقال: "فتعين حمل أحاديث النهي على البكاء الذى معه ندب ونياحة "[1].

قال ابن عبد البر(٤٦٣هـ): "كل حديث أتى فيه ذكر البكاء فالمراد به النياحة عند جماعة العلماء؛ لأن الله تعالى يقول:﴿أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ "[2].

وجمع بينهما الحكيم الترمذي (٣٢٠هـ) من وجه آخر حسن، بأن هذا كان في أول الأمر؛ لأن الناس حديثي عهد بالجاهلية، فلما تمكن الإيمان منهم رُفع هذا النهي، قال: " فالنياحة هي تعديد الأحوال كالمراثي لتتوقد نار المصيبة، وحرقات الرأفة، وتقوى الفجيعة. فذلك من السخط والتلهف على الفائت المفقود. وكانوا يحتشدون لذلك، ويتخذون عليه الطعام، وتتبع نساؤهم الميت إلى المدفن بهذه الصفات. . . فهذه كلها أحوال المشركين في مصائبهم. . . فلما ابتعث الله رسولهﷺ بدين الإسلام، أمرهم بالصبر والنزول على حكمه، . . وزجر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النياحة، وعن كل ما أشبه النياحة، وكل سبب من أسبابها؛ حتى نهى عن البكاء؛ . أراد بذلك حسم هذا الباب على المسلمين، لحداثة عهدهم بأمر الجاهلية، حتى بلغ من حسمه أن نهاهم عن زيارة القبور. . . فبين عليه السلام علة النهى؛ أنهم كانوا إذا زاروا القبور قالوا هجرا، فصاروا إلى النياحة، فلما تمسكوا وعقلوا الإسلام أطلق لهم الزيارة، وحسم عليهم أبواب النياحة، حتى إذا اهتدوا وفقهوا أطلق لهم من ذلك ما لم يكن به بأس"[3].

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٢٧٣).

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (١٠٨).

(٣) المنهيات (٨٣).

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) أن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، وبين أن من يجمع بين دمع العين ورضا القلب أكمل ممن لا يقدر على ذلك؛ إما لغلبة القسوة، أو لغلبة الجزع، فيقول: " لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، وذلك لا ينافي الرضا، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه، وبهذا يعرف معنى قول النبي ﷺ لما بكى على الميت وقال: إن هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، فإن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت، فإن الفضيل بن عياض لما مات ابنه علي فضحك وقال: "رأيت أن الله قد قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به" حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع. وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى كحال النبي ﷺ فهذا أكمل، كما قال تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:١٧]، فذكر سبحانه التواصي بالصبر والمرحمة"[١].

وقد يرد على هذا إشكال، وهو: أن النبي ﷺ أكمل الخلق قد أقر بالحزن والبكاء على فراق إبراهيم وذلك في قوله « وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»، قال في المرقاة: "(وإنا بفراقك) أي: بسبب مفارقتك إيانا، (يا إبراهيم لمحزونون) أي: طبعًا وشرعًا، وفيه إشارة إلى أن من لم يحزن فمن قساوة قلبه، ومن لم يدمع فمن قلة رحمته، فهذا الحال أكمل عند أرباب الكمال، من حال من مات له ولد من المشايخ فضحك، فإن العدل أن يعطى كل ذي حق حقه"[٢].

---

(١) التحفة العراقية (٥٨).

(٢) مرقاة المفاتيح (٣/١٢٣٠).

وقد يكون معنى قول ابن تيمية: "يبكي لحظّه" أي: لفوات مصلحته من الميت؛ فيدخل في الندب، فيكون من الجزع، أما البكاء للفراق فهو من بكاء الرحمة والرقة، فقد قال النبي ﷺ «وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ»[1]، وهذا يدل على سبب الحزن وهو "الفراق"، ويدل على ذلك قوله ﷺ في الرواية الأخرى: "يَا إِبْرَاهِيمُ لَوْلَا أَنَّهُ أَمْرٌ حَقٌّ, وَوَعْدٌ صِدْقٌ، وَأَنَّ آخِرَنَا سَيَلْحَقُ بِأَوَّلِنَا لَحَزِنَّا عَلَيْكَ حُزْنًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا, وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ، تَبْكِي الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ"[2]، فبين أن سبب الحزن: هو لوعة الفراق، وأن العزاء: هو ما يرجوه من اللقاء.

وعليه فإن الحزن والبكاء على الميت إن لم يكن فيه تسخط، ولا جزع، ولا اعتراض على القدر، وكان القلب ملؤه الرضا، ولكن يبكي ويحزن رحمةً بالميت لما هو مقبل عليه من الشدائد، وكذلك لألم فراقه فهذا لا يقدر الإنسان على دفعه، ولم يأمر الشرع بصده. و ضابط ذلك كما قال ابن بطال(٤٤٩هـ): "ما كان بدمع العين ورقة النفس، ولم يكن تسخطًا"[3].

---

(١) رواه بهذا اللفظ البخاري، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»(٢/٨٣).

(٢) رواه البيهقي في سننه الكبرى (٤،١١٥)، والحاكم في المستدرك (٤،٤٣). ومدار الحديث على ابن أبي ليلى، قال الزيلعي في "نصب الراية" (٤/ ٨٤): "قال النووي في الخلاصة: ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ضعيف، ولعله اعتضد"، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١،٧٩٠): "سكت عليه الحاكم والذهبي، ورجال إسناده ثقات، إلا أن ابن أبي ليلى سيئ الحفظ، فمثله يستشهد به ويعتضد". والله أعلم.

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٣/٢٨٧).

وأختم هذا المطلب بما ذكره ابن القيم من كمال الشريعة في الإذن بما يقضي به الإنسان وطره من الحزن، فقال: " فإن الإحداد على الميت من تعظيم مصيبة الموت التي كان أهل الجاهلية يبالغون فيها أعظم مبالغة، ويضيفون إلى ذلك شق الجيوب، ولطم الخدود،. . إلى غير ذلك مما هو تسخط على الرب تعالى وأقداره، فأبطل الله سبحانه برحمته ورأفته سنة الجاهلية، وأبدلنا بها الصبر والحمد والاسترجاع الذي هو أنفع للمصاب في عاجلته وآجلته؛ ولما كانت مصيبة الموت لا بد أن تحدث للمصاب من الجزع والألم والحزن ما تتقاضاه الطباع سمح لها الحكيم الخبير في اليسير من ذلك، وهو ثلاثة أيام تجد بها نوع راحة وتقضي بها وطرا من الحزن، فإن فطام النفوس عن مألوفاتها بالكلية من أشق الأمور عليها، فأعطيت بعض الشيء ليسهل عليها ترك الباقي، فإن النفس إذا أخذت بعض مرادها قنعت به، فإذا سئلت ترك الباقي كانت إجابتها إليه أقرب من إجابتها لو حرمت بالكلية"(١) .

المسألة الثانية: الحزن على فوات الدنيا، وأحكامه.

فطر الله نفوس بني آدم على حب الدنيا ومتاعها كما قال عز وجل: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران:١٤] قال الشيخ السعدي(١٣٧٦هـ): " يخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها،. . فلما

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١١٢).

زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلقت بها نفوسهم، ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين:

قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة، . فهؤلاء كانت زادا لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاء وامتحانا لعباده، . فجعلوها وسيلة لهم وطريقا يتزودون منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم"[١] .

فلا يلام المرء على حب الدنيا، فهو مباح مالم يتجاوز فيه، وقد يرتقي حب الدنيا إلى مرتبة الندب والاستحباب مع حسن النية في قصد العفاف بالعفاف عن الحرام، وكفاية الأهل وصلة الأرحام والإخوان، وإعانة الضعيف، وإطعام الطعام[٢] .

قال عبد الرحمن بن أسلم (١٨٢هـ): "قلت لأبي حازم (١٤٤هـ) يوماً: إني لأجد شيئاً يحزنني، قال: وما هو يا بني؟ قلت: حُبِّيّ الدنيا، فقال لي: اعلم يا ابن أخي أني ما أعاتب نفسي على حب شيء حَبَّبه الله لي؛ لأن الله –عز وجل– حبب هذه الدنيا إلينا، ولكن لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا، ألا يدعونا حبها إلى أن نأخذ من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئاً أحبه الله؛

---

(١) تفسير ابن سعدي (١٢٣/١).

(٢) العواصم والقواصم، لابن الوزير اليماني (١٩٠/٨).

فإذا نحن فعلنا ذلك لا يضرنا حبنا إياها"[١]. قال ابن تيمية (٧٢٨هـ): " فأما مجرد الحب الذي في القلب إذا كان الإنسان يفعل ما أمره الله به ويترك ما نهى الله عنه، ويخاف مقام ربه، وينهى النفس عن الهوى، فإن الله لا يعاقبه على مثل هذا"[٢]. إلا أن هذا الحب ينبغي أن يضبط، ولا يحمله على أن تكون الدنيا همه، وأن يحزن لأجلها، وقد نهى سبحانه عن الحزن على الدنيا فقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر:٨٨] "فنهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الرغبة في الدنيا، ومزاحمة أهلها عليها، ولا تحزن عليهم، أي: لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا"[٣].

وقد كان من دعاء النبي ﷺ: « وَلَا تَجْعَل الدُّنْيَا أكبر هَمِّنَا، وَلَا مبلغ علمنَا»[٤]، "أي: لا تجعل أكبر همنا قصدنا وحزننا لأجل الدنيا، بل اجعله مصروفاً في عمل الآخرة"[٥]، وقال الطيبي (٧٤٣هـ): "فيه أن قليلاً من الهم لابد منه في أمر المعاش المرخص، بل مستحب "[٦].

---

(١) تاريخ دمشق (٦٣،٢٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠٧،١١).

(٣) تفسير البغوي (٦٥،٣).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: الدعوات(٥٢٨/٥)، وقال: حسن غريب. والنسائي في "عمل اليوم والليلة"، باب: ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه (٣١٠/١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٢/١).

(٥) شرح المصابيح لابن الملك (٢٢٩/٣).

(٦) الكاشف عن حقائق السنن (١٩٢٨/٥).

فمن الهم الدنيوي مالا بد منه، ولكن المنهي عنه أن يكون هو الشاغل له عن الآخرة، وهو أكبر همومه، وأن يأسى ويأسف لفوات حظ دنيوي، وقد تُوعد من كان همه الدنيا بالهلاك، قال:ﷺ «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ»[(١)].

وفي الحديث الآخر عن النبي ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»[(٢)].

قال ابن الجوزي (٥٩٧هـ): "العاقل لا يخلو من الحزن؛ لأنه يتفكر في سالف ذنوبه، فيحزن على تفريطه. . . فأما إذا كان الحزن لأجل الدنيا وما فات منها، فذلك الخسران المبين فليدفعه العاقل عن نفسه، وأقوى علاجه أن يعلم أنه لا يرد فائتًا، وإنما يضم إلى المصيبة مصيبة، فتصير اثنتين، والمصيبة ينبغي أن تخفف عن القلب وتُدفَع، فإذا استعمل الحزن والجزع، زادت ثقلًا"[(٣)].

وقال ابن عقيل(٥١٣هـ): "من عجيب ما نقدت من أحوال الناس كثرةُ ما ناحوا على خراب الديار، وموت الأقارب والأسلاف، والتحسُّر على

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب الهم بالدنيا (١٣٧٥/٢) ،والحاكم في المستدرك (٤٨١،٢) وقال : "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وصححه الذهبي في التلخيص، رقم (٣٦٥٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب: الهم بالدنيا(١٣٧٥/٢)، والطبراني في المعجم الأوسط(١٢٣/٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٣/٢).

(٣) الطب الروحاني، لابن الجوزي (ص:٤١).

الأرزاق، بذمِّ الزمان وأهله، وذكر نكد العيش فيه، وقد رأَوا من انهدام الإسلام، وشعث الأديان، وموت السُّنن، وظهور البدع، وارتكاب المعاصي، وتقضي العمر في الفارغ الذي لا يُجدِي، والقبيح الذي يُوبِق ويُؤذِي - فلا أجدُ منهم مَن ناح على دينه، ولا بكى على فارطِ عمره، ولا آسَى على فائتِ دهره، وما أرى لذلك سببًا إلا قلة مبالاتهم بالأديان، وعظم الدنيا في عيونهم، ضد ما كان عليه السلف الصالح؛ يرضون بالبلاغ، وينوحون على الدين"[1].

وهذا الحزن يفرق القلب، ويشغل عن العمل بما ينفع، ولا ينفك عن قلب صاحبه، وهو أخطر من الحزن المرتبط بسبب كالمصيبة مثلًا؛ لأن هذا الحزن يضل مستحكمًا على القلب يتسخط ويجزع ويزدري نعمة الله عليه.

وعليه: فضابط الحزن الجائز على الدنيا أن لا يشغله عن الاستعداد للآخرة، ولا يفرق عليه قلبه، ولا يزدري نعمة الله عليه فيتجزع ويتسخط.

المطلب الثاني: الحزن على الأقدار المتعلقة بالغير، وأحكامه. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الحزن على مصائب المسلمين، وأحكامه:

بين المؤمنين عقد عظيم، ورابطة وثيقة، عقد الولاء، ورابطة المحبة، ومن لوازم هذا الولاء أن يستاء المؤمن لمصاب أخيه، ويحزن لما يحل به من البلايا، قالﷺ: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2].

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية(٣/٢٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤/ ١٩٩٩).

"فالأخ المؤاخي في الله كالذي وصف به الشارع المؤمن للمؤمن في أن كل واحد منهما لصاحبه بمنزلة الجسد الواحد؛ لأن ما سرَّ أحدهما سرَّ الآخر، وما ساء أحدهما ساء الآخر"[١].

وقد حزن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه نبأُ مقتل القراء، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: "قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا حِينَ قُتِلَ الْقُرَّاءُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَزِنَ حُزْنًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْهُ"[٢]. ويظهر من وصف أنس لحال النبي ﷺ مدى حزنه على صحابته رضوان الله عليهم، حتى إنه من شدة حزنه عليهم مكث يدعو شهراً على القتلة في صلاته، وحزن لما عاد سعد بن عبادة وهو في غشية من شدة المرض وبكى صلى الله عليه وسلم[٣]، وعن المنذر بن جرير، عن أبيه، قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة"[٤]، قال في "المرقاة": "فتمعر: بالتشديد أي: فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظهر عليه آثار الحزن لما رأى بهم من الفاقة"[٥]، وتواتر عنه ذلك عليه الصلاة والسلام.

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن(٣٢٦/٢٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الجنائز، بَاب: مَنْ جَلَسَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ يُعْرَفُ فِيهِ الْحُزْنُ (٨٢/٢)، ومسلم بنحوه في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت نازلة(٤٦٩/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: البكاء عند المريض (٨٤/٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (٢/ ٧٠٤).

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٩٢).

وباعث هذا الحزن يثاب عليه صاحبه، ويعد حزناً محموداً من تلك الجهة. كما قال ابن تيمية(٧٢٨هـ): "وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه، ويحمد عليه، فيكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن؛ كالحزين على مصيبة في دينه، وعلى مصائب المسلمين عموما، فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك"[١].

وضابط هذا الحزن ألا يكون من قبيل الجزع، بل على المؤمن أن يكون متيقنًا بأن العاقبة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧] فهو حق أوجبه على نفسه الكريمة، تكرمًا وتفضلًا[٢]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] أي: "قد حكم وكتب في كتابه الأول، وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة وإن العاقبة للمتقين"[٣]، كما لا يحسن بالمؤمن أن يكون هذا الحزن متمكنًا منه شاغلًا قلبه و صارفًا له عن القيام بما أوجب الله عليه.

قال ابن تيمية (٧٢٨هـ): "وأما إن أفضى –أي الحزن– إلى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر الله ورسوله به كان مذمومًا عليه من تلك الجهة، وإن كان محمودًا من جهة أخرى"[٤].

---

(١)مجموع الفتاوى (١٧/١٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٢٢/٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٢٢/٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٧/١٠).

ولا يكون هذا الحزن محمودا إلا إذا دفع صاحبه إلى نصرة المسلمين وموالاتهم -بحسب استطاعته- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٣] ،أي: "إلا تعاونوا وتناصروا في الدين (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)"[(١)] .

المسألة الثانية: الحزن على مصائب الكفار، وأحكامه.

لما شرع الله جل جلاله وجوب البراءة من الكافرين استثنى بعض الأفعال والأحوال التي لا تعارض البراءة العامة، ومن ذلك بعض أحوال الحزن، فالحزن على مصائب الكفار يختلف بحسب نوع المصيبة، وباعث الحزن؛ وذلك على التفصيل التالي:

أولا- إن كانت مصيبة الكفار في دينهم، وباعث الحزن هو كفر الكافر، فهذا باعث يؤجر عليه صاحبه، وهو طاعة من الطاعات، وإنما عاتب رب العالمين نبيه صلى الله عليه وسلم لأنه كان يشتد به الحزن عليهم، فقال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[الكهف:٦] أي: "لعلك يا محمد قاتل نفسك و مهلكها"[(٢)] .

---

(١) تفسير الطبري (١٤، ٨٧).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٧).

قال القشيري(٤٦٥هـ): "والحزن على كفر الكافر طاعة، ولكن النبي ﷺ كان يفرط في الحزن على كفر قومه، فنهي عن ذلك، كما قال تعالى:﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾[فاطر:٨] "[١]

ومنه حزن النبي ﷺ على عمه أبي طالب لأنه مات على الكفر،؛ وكان النبي ﷺ يرجو إسلامه[٢]، أما إذا عاند وجحد وكابر، وفات ما يرجى من إسلامه نُهي عن الحزن عليه، قال ابن إسحاق: "يعاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم: أي لا تفعل"[٣]، وبهذا يوجه النهي عن الحزن على الكفار لكفرهم، قال تعالى:﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[النحل:١٢٧] قال السمعاني(٤٨٩هـ): "أَي: لَا تحزن على أفعالهم وإبائهم للإسلام"[٤]، وقال:﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [آل عمران:١٧٦]، وفي قصة شعيب عليه السلام قال﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:٩٣]يقول: "فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله، وأتوجع لهلاكهم؟"[٥].

---

(١) تفسير القرطبي (٣٨٥/٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله (٩٥/٢)، ومسلم في صحيحه، باب: أول الإيمان قول: "لا إله إلا الله" (٥٤/١).

(٣) تفسير الطبري (٥٩٨،١٧).

(٤) تفسير السمعاني (٢١١،٣).

(٥) المرجع السابق (٥٧١،١٢).

وقد بين ابن القيم(٧٥١هـ) في "النونية" الجمع بين الرحمة، والبراءة من الكفار، فقال:

وانظر إلى الأقدار جارية بما	قد شاء من غي ومن إيمان
واجعل لقلبك مقلتين كلاهما	بالحق في ذا الخلق ناظرتان
فانظر بعين الحكم وارحمهم بها	إذ لا ترد مشيئة الديان
وانظر بعين الأمر واحملهم على	أحكامه فهما إذا نظران
واجعل لوجهك مقلتين كلاهما	من خشية الرحمن باكيتان
لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم	فالقلب بين أصابع الرحمن(١)

ثانيا- الحزن على الكفار لأجل مصائبهم الكونية؛ من نقص الأموال والأنفس والثمرات مما يتعلق بمصلحة دنياهم، بسبب التعاطف معهم، والمودة لهم: فإن هذا ينافي الولاء والبراء(٢).

فالكفار أعداء الله وأعداء المؤمنين، وقد أوجب الله الموالاة بين المؤمنين وبين أن ذلك من لوازم الإيمان، ونهى عن موالاة الكفار وبين أن ذلك مفسد للإيمان، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة:٢٢] فأخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين، وأن من كان مؤمنًا لا يوالي من كفر، وإن كان من

---

(١) نونية ابن القيم "الكافية الشافية" (١٩).

(٢) قاعدة في المحبة (١٩٨).

عشيرته[1]، فأخبر سبحانه أنه لا يوجد مؤمن يواد كافرًا؛ فمن واد الكفار فليس بمؤمن[2].

وليس المطلوب من المسلم مجرد العداء لهم، بل المطلوب منه جهادهم، والحرص على مراغمتهم، وإدخال الحزن عليهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:١٢٣]، فمن جهاد الكفار: السعي إلى كسر شوكتهم، ومراغمتهم، وإدخال الهزيمة عليهم بكل الوسائل والأسباب المباحة، والتضييق عليهم، حتى يحصل الإقبال على الإسلام والأدبار عن الكفر، فإن لم يحصل من المسلم جهاد ومراغمة للكفار، فلا أقل من معاداتهم القلبية، والحزن على مصائبهم ينافي ذلك.

وإذا كان الله قد نهى نبيه عن الحزن والأسف على كفرهم وهذا في مقام دعوتهم، فكيف بالحزن من أجل مصاب حل بهم؟

بل إن الفرح بمهلك أعداء الإسلام أمر مشروع، وهو من نِعَم الله على عباده وعلى الشجر والدواب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب:٩] ففي الآية بيان أن إهلاك الكفار نعمة من الله

---

(١) تفسير البغوي (٤٩/٥)

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٥٥٠،١).

تستوجب الشكر، وامتن بها سبحانه وتعالى على المؤمنين؛ فإن في هلاك الكافر راحة للبلاد والعباد، فعن أبي قتادة بن ربعي أنه كان يحدث: أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة، فقال: (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ)، قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: "الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ"(١).

وقد ورد عن السلف أنهم كانوا يفرحون بهلاك أهل الكفر والبدع، فقد فرح علي رضي الله عنه وكبر شكراً لله لمقتل "المخدَّج" الخارجي لما رآه في القتلى(٢)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): "وقاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارجَ، وذكر فيهم سنَّة رسول الله المتضمنة لقتالهم، وفرح بقتلهم، وسجد لله شكراً لما رأى أباهم مقتولاً وهو ذو الثُّدَيَّة"(٣).

وقال الخلاَّل (٣١١هـ): قيل لأبي عبد الله – أي: الإمام أحمد بن حنبل(٢٤١هـ)–: الرجل يفرح بما ينزل بأصحاب ابن أبي دؤاد، عليه في ذلك إثم؟ قال: ومن لا يفرح بهذا؟(٤)

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: سكرات الموت (١٠٧/٨)، ومسلم، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه، (٦٥٦/٢).

(٢) روى القصة كاملة مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة: باب: التحريض على قتل الخوارج (٧٤٨/٢)، وانظر: البداية والنهاية (٥٩٠/١٠)، وفيه أن علي رضي الله عنه سجد لله شكرا.

(٣) مجموع الفتاوى (٣٩٥/٢٠).

(٤) السنَّة للخلال (١٢١/٥).

وهذا السؤال ورد للإمام لما التبس على الناس كون هؤلاء ينتسبون للإسلام، وهذا يدل على أنه قد تقرر عندهم الفرح بهلاك الكافر.

أما إن كان الحزن من قبيل الرحمة الإنسانية الغالبة التي لا يملكها الإنسان، كأن يحزن على موت قريب له كافر، ولم يكن من المحادين لدين الله، فهذا يجوز وهو مما لا يلام عليه صاحبه، ومنه حزن النبي ﷺ على أمه، فعن أبي هريرة، قال: زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت»[1].

وعلى هذا فإن الحزن على مصائب الكفار يتفاوت بحسب سببه وأحواله.

---

(١) السنَّة للخلال (١٢١/٥).

الخاتمة

من خلال ما تم عرضه فيما يتعلق بأنواع الحزن، وضوابطه، نخلص بما يأتي:

١- إن الحزن في اللغة بكل مشتقاته يدور حول الصعوبة، والخشونة، ومنه سمي الحزن حزنا لصعوبتة على النفس، وكونه ألم وتوجع، وهناك بعض المصطلحات المقارِبة للحزن مثل: الهم والغم والأسف والكآبة والكرب من الناحية اللغوية، وتتضمن أمرا زائدا على الحزن.

٢- يمكن تقسيم الحزن إلى نوعين: قسم يتعلق بأمور الدنيا كحزن الإنسان على موت شخص عزيز عليه أو فوات مصلحة له، وقسم يتعلق بأمور الآخرة كحزن المسلم على اقترافه الذنوب والمعاصي وتقصيره في الطاعات.

٣- من خلال استقراء الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية المتعلقة بالحزن يتبين أن الحزن -بقسميه المذكورين — انفعال غير محمود، تظافرت النصوص في النهي عنه، والإرشاد لدفعه قبل وقوعه بالتعوذ بالله منه، ورفعه بعد وقوعه بالأذكار والدعوات، والأسباب الكونية المباحة النافعة.

٤- إذا كان مِنْ حالةٍ يُحْمَدُ فيها الحزن فهي حزن المسلم على معصيته أو تقصيره في الطاعة، أو حزنه على مصائب المسلمين، حبا وولاء في الله، وحتى في هذه الحالة يُحمد ما يدل عليه الحزن من إيمان القلب وسلامته، ويذم إذا أدى إلى القنوط من رحمة الله، أو استحكم على القلب وثبط عن العمل.

٥- مما ابتدعه الجهلة التعبد لله بالحزن الطويل الدائم، فجعلوه من منازل السائرين، واستجلبوه بمجالس السماع البدعية، وكل ذلك من الإحداث في الدين المنافي لمقاصد الشريعة.

٦- من الإحداث في الدين إظهار الحزن في يوم عاشوراء، واتخاذه مأتما، وكذلك إظهار الحزن في العيد وتبادل التعازي على فراق رمضان.

٧- إن الحزن على المصائب الكونية من ضرورات النفس البشرية، ولا يُذم إلا إذا كان بفعل الجوارح، كالندب، والنياحة، وغيرها من الأفعال التي تدل على التسخط، والاعتراض على القدر.

٨- الحزن على مصائب الكفار له أحكام مختلفة، بحسب باعث الحزن، وسببه.

٩- يجوز الحزن على الدنيا إذا لم يشغل عن الاستعداد للآخرة، ولم يفرق القلب، ولم يصحبه جزع وتسخط.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،،

* * *

فهرس المصادر والمراجع

*إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

*الإخوان،أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤٠٩ – ١٩٨٨م.

*الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، الناشر: عالم الكتب.

*الأذكار النووية، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي،المحقق: محيي الدين مستو، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت،ط ٢،١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

*إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧، ١٣٢٣ هـ.

*الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي،تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

*الاستقامة، أبو العباس ابن تيمية(٧٢٨هـ) الحراني، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، ١٤٠٣هـ.

*إصلاح المساجد من البدع والعوائد، محمد جمال الدين القاسمي،خرج أحادثه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط ٥، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

*إصلاح المنطق، المؤلف: ابن السكيت، المحقق: محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٣ هـ , ٢٠٠٢ م

*أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

*الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

*إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٣هـ.

*اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية(٧٢٨هـ) الحراني،المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
*إكمَالُ المعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض اليحصبي السبتي، المحقق: يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
*الأم، الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، الناشر: دار المعرفة – بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
*البحر المحيط في التفسير، أبوحيان الأندلسي، المحقق: صدقي جميل، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
*البداية والنهاية؛ أبوالفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ.
*بدع القراء القديمة والمعاصرة، بكر بن عبد الله أبو زيد، المحقق:، الناشر: مؤسسة قرطبة.
*تاريخ الرسل والملوك؛ محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ.
*تاريخ دمشق؛ ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة، دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
*التبيين لدعوات المرضى والمصابين، عبدالرزاق البدر، الناشر: مطابع أضواء المنتدى، ط٢، ١٤٢٥هـ.
*تحفة الأحوذي، بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد المباركفوري،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
*التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية الحراني،الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.
*تسلية أهل المصائب، محمد بن محمد، شمس الدين،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة٢، ١٤٢٦هـ.
*التعرف لمذهب أهل التصوف،: أبو بكر محمد الكلاباذي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

*التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
*التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، مؤلف الأصل: محمد بن حبان، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان، تحقيق: ناصر الدين الألباني، الناشر: دار باوزير، جدة- ط١٤٢٤،١هـ.
*تفسير الراغب الأصفهاني، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، تحقيق: د. محمد بسيوني، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
*تفسير القرآن العظيم، أبو محمد الرازي ابن أبي حاتم،المحقق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط ٣ – ١٤١٩هـ.
*تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء ابن كثير القرشي،المحقق: سامي سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
*تفسير القرآن، أبو المظفر، السمعاني المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الناشر: دار الوطن، الرياض – ط ١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
*تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، أبو الليث السمرقندي،حققه وعلق عليه: يوسف بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط ٣، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
* تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه، دار الكتب العملية، بيروت.
*تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، المحقق: محمد عوض، دار إحياء التراث– بيروت،ط١، ٢٠٠١م.
*التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، المحقق: دار الفلاح، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، ط ١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
*التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، لناشر: عالم الكتب-القاهرة، ط ١٤١٠،١هـ.

*تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان آل الشيخ،المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
*تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي،المحقق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
*التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي،الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
*جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١٤٢٠هـ.
*الجامع الكبير- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.
*الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
*جمهرة اللغة؛ أبو بكر محمد الأزدي، تحقيق: رمزي منير، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
*الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة – المغرب، ط ١، ١٤١٨هـ.
*حقيقه السنة والبدعة، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الناشر: مطابع الرشيد، ١٤٠٩ هـ.
*الحوادث والبدع، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشى المالكي،المحقق: علي بن حسن الحلبي، الناشر: دار ابن الجوزي، ط ٣، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
*الخصائص الكبرى، جلال الدين السيوطي، لناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
*دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦ هـ.
*الدعاء للطبراني، المحقق: مصطفى عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ.

* الدعوات الكبير، البيهقي، المحقق: بدر البدر، الناشر: غراس للنشر، الكويت، ط(١)٢٠٠٩ م.
*الدلالات النفسية واللغوية لمفهومي الخوف والحزن في القرآن الكريم، عبد الباقي أحمد، عائدة الأنصاري، الخرطوم، ٢٠١٣ م.
*الديباج على صحيح مسلم، جلال الدين السيوطي،تحقيق وتعليق: أبو اسحق الحويني، الناشر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية — الخبر، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
* رسائل فلسفية للكندي والفارابي وابن باجه وابن عدي، عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٩٧،
* زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٧ , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
*الزهد، أحمد بن حنبل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
*سبل السلام، أحمد بن إسماعيل الصنعاني، الناشر: دار الحديث.
*سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، مكتبة المعارف.
*سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة؛ الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
*السنة؛ أبو بكر الخَلَّال، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
*سنن ابن ماجه؛ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
*سنن أبي داود، المحقق: شعَيب الأرنؤوط- الناشر: دار الرسالة العالمية،ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
*السنن الكبرى؛ البيهقي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

*السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات،محمد خضر الشقيري الحوامدي،المصحح: محمد خليل هراس، الناشر: دار الفكر.
*سير أعلام النبلاء؛ شمس الدين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
*السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦م.
*شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، ط٢ ١٤٢٣هـ -.
*شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية،الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ.
*شعب الإيمان، البيهقي، أشرف على تحقيقه: مختار الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
*الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر الجوهري،تحقيق: أحمد عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
*صحيح البخاري؛ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه؛ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
*صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض،ط ١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م.
*صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني،الناشر: المكتب الإسلامي.
*الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي، المحقق: عبد الرحمن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
*صيد الخاطر، أبو الفرج ابن الجوزي، دار القلم – دمشق،ط ١،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

*ضعيف الجامع الصغير وزيادته، الألباني،أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي.
*الطب الروحاني، ابن الجوزي، المحقق: محمد بسيوني،الناشر:مكتبة الثقافة الإسلامية، ١٤٠٦هـ-١٩٧٦م.
*طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية،الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ.
*عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية،الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
*عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود العينى، دار إحياء التراث العربي — بيروت.
*عمل اليوم والليلة، أحمد بن شعيب النسائي،المحقق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة— بيروت،ط٢،١٤٠٦هـ.
*العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، حققه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
*عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.
*العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي،المحقق: د مهدي المخزومي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
*غريب الحديث؛ أبو سليمان حمد المعروف بالخطابي، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي, دار الفكر، ١٤٠٢هـ.
*الفتاوى الكبرى لابن تيمية(٧٢٨هـ)؛ دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
*فتح الباري شرح صحيح البخاري،أحمد بن بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.

*فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط ١ - ١٤١٤ هـ.

*الفروق للقرافي = أنوار البروق في أنواء الفروق، الناشر: عالم الكتب.

*فيض القدير، المناوي،الناشر: المكتبة التجارية الكبرى — مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

*قاعدة في المحبة، ابن تيمية(٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم،الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

*القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

*الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة،، الناشر: مكتبة الرشد — الرياض.

*كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، الناشر: دار الوطن — الرياض.

*الكلام على مسألة السماع، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ.

*الكليات، أيوب بن موسى الكفوي، المحقق: عدنان درويش، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

*اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ.

*لسان العرب؛ محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

*لطائف المعارف، عبد الرحمن ابن رجب، دار ابن حزم للطباعة والنشر،ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

*مجموع الفتاوى، ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

*المجموع شرح المهذب "مع تكملة السبكي والمطيعي"،المؤلف: النووي،الناشر: دار الفكر.

*مختصر الشمائل، الترمذي، الناشر: المكتبة الإسلامية - الأردن، تحقيق: الألباني.
*مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية،المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
*المراسيل،أبو داود، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
*مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبوالحسن الهروي القاري، دار الفكر، لبنان، ط١٤٢٢،١هـ.
*المستدرك على الصحيحين؛ الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
*مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،ط١، من١٩٨٨م/ ٢٠٠٩م.
*المسند الصحيح، مسلم بن الحجاج، المحقق: محمد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث- بيروت.
*مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، ت:الألباني، المكتب الإسلامي– بيروت، ط٣.
*المصنف؛ أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت،ط٢، ١٤٠٣هـ.
*معالم التنزيل في تفسير القرآن، ابن الفراء البغوي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.
*معاني القرآن للنحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد،المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩هـ.
*معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج،المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

*المعجم الأوسط، الطبراني،المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد , الناشر: دار الحرمين – القاهرة.
*معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
*معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
*مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي،المحقق: د. عبد الله التركي، الناشر: دار هجر،ط٢، ١٤٠٩ هـ.
*منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: ابن تيمية(٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
*المنهاج شرح صحيح مسلم، أبو زكريا النووي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
*المنهيات، محمد الحكيم الترمذي، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع -القاهرة، مصر، عام النشر: ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
*نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
*نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر،ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
*الهم والحزن، ابن أبي الدنيا،المحقق: مجدي السيد، دار السلام – القاهرة، ط ١، ١٤١٢ - ١٩٩١
*الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط٣ ١٩٩٩.